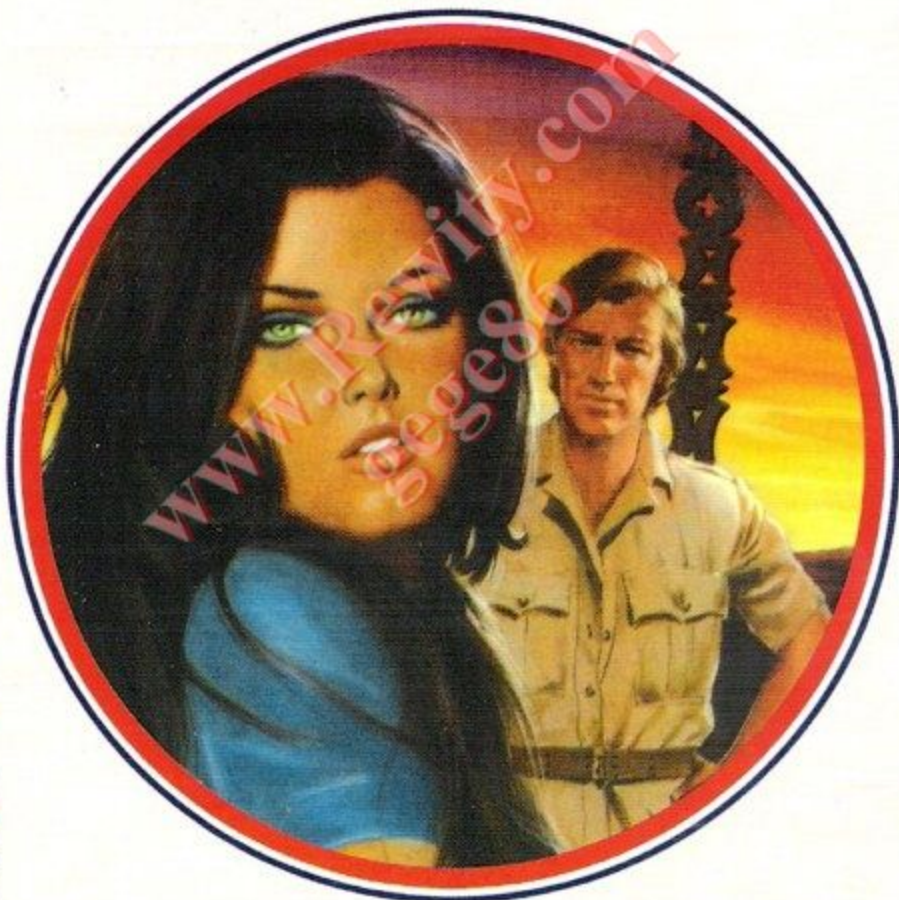


روايات عبير



اللقاء بعد اليأس



Frances CREIGHTON

N° 655

روايات عبير



وصلت "ستيفاني" الفينيسية إلى "باريس"؛
لكي تتركس ذاتها لمهنتها كمصورة حرة.
وفي دنيا السينما والفنون والآثار،
تقابلت مع الشاب الجميل "مارك دي موجاندر". ولم تشك يوماً ما في
تعرضها لدسياسة قام بها بعض المغامرين الفطنين المغرضين.
من ذا الذي يستطيع إنقاذها من اليأس؟
ربما يكون "مارك" لكنه بعيد جداً.
هذا بالإضافة إلى أنه....
هل مازال يحبها حقاً؟

ثمن النسخة



قطر	٨ ريال	لبنان	٢٥٠٠ ل.
مسقط	٧٥٠ بيسة	سوريا	٧٥ ل.
مصر	١٠ جنيه	الأردن	١ دينار
المغرب	20 درهم	السعودية	٨ ريال
ليبيا	١ دينار	الكويت	٧٥٠ فلس
تونس	2.5 دينار	الإمارات	٨ دراهم
اليمن	٢٥٠ ريال	البحرين	٧٥٠ فلس
		U.K.	2£

روايات عبير

مطبوعة أسبوعية - قصصية

اللقاء بعد اليأس

العدد رقم ٦٥٥ - No 655

شخصيات الرواية

"ستيفاني ماركيتيني": بطلة الرواية، مصورة، ابنة كونت.
"مارك دي موجاندر": رجل أعمال "ثري".
"أورورا جالان": الزوجة الثانية للكونت "ماركتيني".
"جيلبير جالان": ممثل كوميدي سينمائي.
"كورين ميركاديه": ابنة جراح شهير، مدللة.
"فيتوريو رينالدي": شقيق "أورورا" (وهو في الواقع ابنها).
"أنا": مديرة منزل "مارك".
"ليجي": رئيس "ستيفاني" في العمل.
"ليديا": زوجة "جيلبير جالان".
"دولوريه": زميلة عمل للآنسة "ستيفاني".
"جيرار ديريه": محامي "كورين".
"هنري باردو": بائع في محل والد "ستيفاني" (لبيع اللوحات والتحف النادرة).

قام بعون الله الأستاذ/ إبراهيم فرحات مشكوراً بمراجعة هذا الكتاب
وتدقيقه وتصويته أخطائه اللغوية والمطبعية

قصة شائقة هادفة، امتزجت فيها المشاعر العاطفية بالأهداف السامية التي تغلبت على الحسة والدناءة والدسائس. تصفحها - عزيزي القارئ - واستمتع بها.

كان الخريف في "باريس" في تلك السنة رائعاً. كانت أشجار الكستناء مازالت خضراء، إلا أن بعض أوراقها - وقد اتخذت لوناً أحمر - كانت تتساقط من حين لآخر. إنها بداية شهر أكتوبر (تشرين الأول).

أوقفت "ستيفاني" تاكسي في ميدان "سان جيرمان دي بريه"؛ إذ كانت على موعد مع زوجة أبيها عند "هنري باردو" بائع الرسوم واللوحات القديمة وهو صاحب محل بشارع ال "سين".

عندما نظرت الفتاة إلى ساعة الميدان وجدت أنه مازال أمامها نصف ساعة ولكي تضيق الوقت؛ اتخذت شارع "بونابرت". كانت الفتاة قد غادرت "فينيس" حيث كانت تسكن في أملاك والدها، وهو مبنى فاخر على شاطئ ال "جراند كانال".

كان الكونت "ماركتيني دي بروسو" وهو إيطالي من أصل روماني قد استقر منذ فجر شبابه في مدينة "دوج".

وكانت "ستيفاني" هي ثمرة زواجه الأول من فرنسية ورثت عنها عينين زرقاوين ذواتي نظرة عميقة.

ثم بعد عامين من الترحل، تزوج الكونت مرة أخرى من الجميلة "أورورا"، سمراء ذات عيون سوداوين وقوام فارغ.

وكانت "أورورا" قد قامت البؤس طوال فترة مراهقتها، أثناء إقامتها في أحياء "نابولي"، محرومة من حق الإرث؛ لذلك - عندما منحها الكونت اسمه وكان وقتئذ شاباً جميلاً في الأربعين من عمره - اعتقدت "أورورا" أن ذلك يرجع إلى بركة الله لها. تنقلت "ستيفاني" من مدرسة إلى أخرى، وأخيراً استقرت في مدرسة داخلية في "جنيف". وكانت تبلغ الثانية عشرة من عمرها عندما توفي الكونت في حادثة سيارة، ثم بعد ثماني سنوات - عندما أتمت دراستها - غادرت "سويسرا" بصفة نهائية؛ لكي تعيش في منزل والدها مع "أورورا"، وكانت هذه الأخيرة

قالت:

— هل أنت تبيع أيضاً منحوتات يا سيد "باردو"؟

— عامة لا — يا سيدتي العزيزة — غير أنه قد أتيت لي فرصة اقتناء

هذه التماثيل البرنزية الصغيرة ... و ...

وبينما كانوا يثرثرون، اتجهوا نحو الحجر حيث كان مكتب البائع.

كان البائع الشاب من حين إلى آخر يلقي نظرات خاطفة إلى

"ستيفاني"، محدثاً ذاته بأن ابنة الكونت قد أصبحت جميلة جداً،

تتمتع بسحر ورشاقة الغزالة: شعرها الكستنائي يحيط بوجهه بيضاوي،

عينها الواسعتان لهما أهداب سوداء، وأنفها الدقيق يمنحها مظهر

شخصية خارجة من إحدى لوحات "النهضة الإيطالية". بالإضافة إلى

ذلك، كانت تنبثق من شخصيتها وداعة وبراعة.

كان هندامها بسيطاً: عبارة عن بنطلون من قماش القاتيل الرمادي

وبلوزة بيضاء. في حين أن زوجة أبيها كانت ترتدي كعادتها ملابس

شاذة باهظة الثمن؛ إذ كانت في ذلك اليوم تضع "تاير" من القطيفة

السوداء و"كاب" أحمر مبطناً بالحرير الأحمر أيضاً.

وها هي الفتاة تتأمل الآن باهتمام الأعمال المعروضة؛ لأنها كانت قد

ورثت عن والدها حساً مرهفاً للفنون الجميلة وكل ما يوحي بالعصور

السالفة. أما الكونتيسة — وهي جالسة أمام المكتب — فقد كانت تُري

"هنري باردو" صوراً ولوحات كانت قد أخرجتها من حقيبتها، وكانوا —

كلاهما — يتبادلان حديثاً بصوت خافت.

وإذا بالباب يُفتح إلى النصف؛ لكي يظهر منه شاب في الثلاثين من

عمره، قارع، ذو شعر كستنائي مجعد ووجه جميل بارز التقاطيع بعض

الشيء، وما زال محتفظاً بلفحة شمس الصيف. كان عريض المنكبين

ويبدو أنه رجل رياضي.

بتلقائية التفتت "ستيفاني" نحو الوافد الجديد، وشعرت بأنها انجذبت

له كما يفعل المغناطيس من تأثير عينيته الخضراوين. وإذا بشيء غريب

سحري يلحق بكليهما، وعندما التقت نظراتهما لم يتمكنوا من

تعيش حياة البذخ، كثيرة الأسفار، تنفق بغير حساب.

ولما كانت "ستيفاني" قد حذت حذو الكونتيسة، فإنها أخذت تفكر

جدياً — أثناء تطلعها إلى واجهات المحلات وما بها من معروضات في

شارع الـ"سين" — في أن هذه الحياة المقلدة عديمة المنفعة، أصبحت ثقيلة

عليها.

عندما دخلت إلى معرض اللوحات وجدت زوجة أبيها تتحدث مع

البائع.

عندما رأت هذه الأخيرة "ستيفاني" صاحت:

— آه يا عزيزتي لقد حضرت ١٩ أقدم لك السيد "باردو".

ثم أضافت:

— كان يعرف والدك جيداً، وكثيراً ما اشترى له رسوماً أثناء فترات

إقامته في "باريس".

مدت الفتاة يدها إلى السيد "باردو" الذي احتفظ بها فترة في يده

مبتسماً ثم قال:

— إنني سعيد بمعرفتك يا أنسة. لقد كان والدك صديقاً لي، كان —

رحمه الله — خبيراً في الأشياء القديمة، الأثرية ...

كم من مرة تناقش كلانا — منحنين وممسكين بالعدسات المكبرة — عن

صحة رسم أو لوحة! وفي أغلب الأحيان كان هو على حق. إن

مجموعاته معروفة لدى كل الهواة في العالم.

بادلته الفتاة الابتسامة وسحبت يدها بينما كان هو يواصل كلامه:

— لقد تشرفت باستقباله لي منذ اثني عشر عاماً، وذلك خلال رحلة

لي في "إيطاليا" — وكنت حينئذ فتاة صغيرة — في الإجازة الصيفية،

ومازلت أراك تجرمن في الفناء بالضفاكر التي تهتز على ظهورك. وفي ذلك

اليوم أعجبت باللوحة التي كان والدك يفتخر باقتنائها لـ"ليونارد

دافنشي".

أثناء ما كان البائع يسترجع تلك الذكريات، ألقت الكونتيسة نظرة

من حولها.

الاكتشاف الواحد عن الآخر، وعندما رفعت الفتاة رأسها، وشفتاها مرتجفتان، ابتسمت وعملت على الاكتشاف، وإذا بها تسمع من خلفها صوت "هنري باردو" قائلا:

- صباح الخير يا سيد "موجاندر"، كنت أعتقد أنني سوف أراك. هل حضرتت من أجل رسم "رمبرانت"؟
ولما لم يجهج الزائر؛ إذ كان مثبتاً نظره على الفتاة واصل البائع وإن كان قد دهش لذلك:

- إنه رسم ذو قيمة عالية. لقد اعتقدت عند آخر زيارة لك أنك ترغب في اقتنائه.
وكان "موجاندر" عاد إلى الأرض، تفرس في "باردو" ثم بصوت متردد:

- نعم... بالتأكيد... لقد حضرتت لكي أشتريه.
واتجه نحو المكتب الذي تجلس الكونتيسة أمامه.
أردف "باردو":

- سيدتي العزيزة، اسمحي لي بأن أقدم لك السيد "دي موجاندر"... وهو من عشاق الفن.
وواصل عملية التقديم:

- الكونتيسة "ماركتيني دي بروسو"... أرملة الكونت الذي لاشك أنك سمعت الكثير عنه كشخص من هواة جمع الرسوم واللوحات وكل ما هو نادر وقديم.

مدت الكونتيسة أصابعها المحملة بالخواتم نحو "موجاندر" الذي انحنى.

واصل البائع ملتفتاً نحو "ستيفاني":

- الأنسة "ماركتيني دي بروسو"، ابنته.

أكدت "أورورا":

- ابنة زوجي.

تناول "موجاندر" يد الفتاة، واحتفظ بها لفترة أطول مما كان يليق

الاحتفاظ بها وهو يرنو إليها.

تركهما البائع لحظة ودخل إلى الغرفة الواقعة في آخر المحل، وهي تستخدم كمخزن. ثم خرج منها ويده رسم في إطار.

- ها "رمبرانت" الذي جذب انتباهك يا سيدتي. إنه رسم بالريشة وبالألوان المائية يرجع إلى عام ١٦٤٠.

أضاف ذلك متوجهاً إلى الكونتيسة التي التفتت نحوه؛ لكي تنظر إلى الصورة التي يمدّها إلى الشاب.
تناول هذا الأخير الرسم بكل احترام وتأمله طويلاً. أخيراً - رافعاً عينيه - سأل:

- هل سبق أن أخبرتني بأنه بـ "مليون ومائة ألف" فرنك؟

- نعم يا سيد "دي موجاندر".

ولما رآه متردداً، أضاف "باردو":

- إنه رسم نادر، وصور "رمبرانت"، ليس من السهل العثور عليها.
عمره - بما أنك زبون طيب - في إمكاني أن أجعله بـ "مليون" فقط، ليس أقل.

أجاب "موجاندر":

- شكراً سيدتي "باردو".

ثم دون أن يتردد لحظة أكثر من ذلك أخرج دفتر الشيكات.

نهضت الكونتيسة في هدوء، تاركة الرجلين يتبادلان الحديث معاً بمفردهما أمام المكتب، ولحقت بـ "ستيفاني" التي كانت تواصل زيارة المعرض. تبادلنا بعض التعليقات على اللوحات، لكن "أورورا" كانت تبدو شاردة... كانت تفكر في هذا الرجل الجميل الذي يوقع شيكاً بمائة مليون (سنتيم).

وأثناء ما كان البائع يقوم بتغليف لوحة "رمبرانت"، اقترب منهما "موجاندر".

- قد تكون متعة لقائكما في احتفال تاجر التحف "ليلة الافتتاح".
لقد أخبرني السيد "باردو" حالياً أنه يمتلك بعض الروائع، كان قد خياها

في عناية في جناحه هذا المساء ...

فاجابته الكونتيسة وعلى شفتيها ابتسامة ساحرة، وفي صوتها الساحر لهجة إيطالية:

- اتفقنا يا سيدي العزيز، سنكون في "جراند باليه". لقد حضرنا من أجل ذلك. إنها المرة الأولى التي نحضر فيها ابنة زوجي هذا العرض الشائق؛ لأنه - حتى الآن - كانت دراستها تحول دون قيامها بفترات إقامة طويلة في عاصمتكم. ومن جانب آخر - هكذا واصلت في مودة - كدت أختنق في "فينيسيا". حقا كنت في حاجة إلى "باريس"!

غير أن الشاب كان قد كف عن الاستماع إليها؛ لأنه كان مشغولاً بالتأمل في "ستيفاني".

اقرب البائع مقدما اللغة ومعها شهادة الأهلية للرسم.

- ها ما طلبته يا سيدي مع دعوة لليوم السابق لافتتاح معرض الصور. شكره السيد "موجاندر" وانحنى أمام السيدتين معبراً مرة أخرى عن أمله في لقائهما أثناء السهرة. اصطحبه "باردو" إلى الباب بينما عادت الكونتيسة إلى المكتب، وتناولت قطعة برنزية تمثل إله الريف عند الرومان يعزف على المزمار، متظاهرة بأنها تفحصها باهتمام ثم قالت موجهة كلامها إلى "باردو":

- لطيف جداً هذا الرجل الجميل دي ... دي.

أكد لها هذا الأخير:

- "دي موجاندر" .. "مارك دي موجاندر". إنه شاب جذاب ورقيق ومجامل ممتاز .. هذا بالإضافة إلى أنه مولع بالأشياء القديمة كما كان والده، إن فندقه الخاص - وهو من مساكن القرن الثامن عشر - عبارة عن إحدى روائع المساكن ذات الإطار الخشبي وارد "بولونيا"، حيث يضم أشياء رائعة.

سألته "أورورا" بطريقة سطحية وهي مستمرة في تأمل التمثال الصغير الذي بيدها:

- آه؟ ماذا يعمل؟

- إنه يدير مصانعه. إنها أسرة مهندسين: من الأب إلى الابن، وكان جده والده قد أنشأ أحد أكبر المجمعات للنسيج في شمال "فرنسا". كما اعتقد أنه يدير مصنعاً للمحركات الكهربائية. كما أنني أيضاً سمعت أنه يعتزم إنشاء مصنع آخر في "بورتريكو" عما قريب.

قالت الكونتيسة وهي مازالت تنظّهر بعدم الاهتمام إنما بأدب:

- حقاً. هذا التمثال رائع. أليس كذلك يا "ستيفاني"؟

غير أن "ستيفاني" لم تكن قد استمعت إلى ما دار بينهما من حديث؛ إذ كانت غارقة في أفكارها.

لم تكن الفتاة - حتى هذا اليوم - على دراية إلا بأولئك اللعوبين الذين لا يدومون أكثر من عمر زهور الربيع.

إذ كان الحب بالنسبة لها هو هذا الشعور الخطير، المهم الذي لا يحسه المرء إلا مرة واحدة في حياته، وكانت قد تأثرت بهذا الإحساس الخفي الذي لحق بها عندما التقت عيناها بنظرة هذا الشاب الحانية، هذا الشاب الفارع الجميل الذي وجدته جذاباً إلى حد لا يوصف. شعرت فجأة برغبة في وضع يدها في يده. وقفت جامدة، صامتة وسط معرض اللوحات، أسيرة هذا الارتباك العجيب الذي تملكها.

الفصل الثاني

كان "جيلبير جالان" الممثل الكوميدي ممدداً على إحدى الأرائك الموجودة بصالونه، يقرأ بعين شاردة السيناريو الذي عهد إليه به مدير المسرح، وكان الموضوع الذي عُرض عليه بشأن فيلمه القادم لا يعجبه البتة؛ لذلك عندما اتصل به "مارك" هاتفياً؛ لكي يعلن له زيارته حتى يريه رسم "رمبرانت" قبل هذا العرض بكل ترحاب.

ولما كان الصديقان جارين، وصل "موجاندر" بسرعة متباطئاً لفته الشمينة. كانت تربطهما صلة صداقة متينة، وكان يعتبر "جيلبير" -

وهو يكبره بعشر سنوات - مثل أخ.

نظر إليه الكوميدي مبتسماً وهو يحل بعناية وفي صمت تام الورقة التي تغلف الصورة.

أخيراً أرفف "مارك" وهو يمد يده بالرسم:

- ها هو!

تناوله "جالان"، وأخذ يتأمل به بضع لحظات.

وأخيراً صاح:

- قطعة جميلة! لقد أحسنت بشرائك إياها.. لا شك في أنها غالية

الثلث!

هكذا أضاف مستجوباً.

- مليون... لقد تنازل "باردو" عن جزء ضئيل. كم أقدر أسلوبه في التعامل مع زبائنه الخلفيين. إنني واثق بأنني كنت سادف أكثر من ذلك لو أنني اشتريتها من صالة المبيعات. أخبرني هل تلقيت بطاقة دعوة لعرش ال "بينالي"؟

- نعم.. بل لقد تلقيت العديد منها!

- أمن الممكن أن نذهب معاً؟

- إذا شئت. هل في إمكانك أن تمر لاصطحابي؟

سأله "مارك":

- وهل "ليديا" ستكون معك؟

- لا أعتقد. إنها مصابة بالإنفلونزا... متعبة... كما أنها غير مولعة بهذه السهرات الباريسية.

- خسارة...

- لماذا؟

- كنت أتمنى أن أقدم لها شخصيتين... أو بمعنى أصح أن تكون معي عندما أستقبلهما... كانت "ليديا" ستجد فرصة تبادل الحديث مع الفتاة... وبذلك تكون فرصة للدخول إلى الموضوع... هل فهمت؟

- لا...

- كيف... لا؟

- قد أكون غيبياً، لكنني لا أفهم شيئاً من قصتك! أي فتاة تتكلم

عنها؟

- اسمعني. عندما دخلت عند "باردو" - في بداية فترة بعد الظهر -

كانت هناك فتاة تتأمل اللوحات المعلقة على متكا اللوحات. التفت

نظراً لنا... كيف أشرح لك؟... كم رغبت في أن أضم هذه الفتاة

إلي، وأن أقبل هذا القم الذي مازال طفولياً...

التسعت حدقتا عيني "جالان" من الدهشة، قال في شيء من المكر:

- أتعلم أن ما تسرده الآن شيء جميل. لكنني لا أجد علاقة بين

ذهاب زوجتي معي وهذا الموضوع الذي يعبر عن حب من أول نظرة؟

- حب من أول نظرة، قد تكون مبالغاً، فلنقل إنها أعجبتني. لقد

تبادلنا بعض الكلمات، وفهمت منها أنها ستتوجه إلى العرض مع

زوجة أبيها. ومن البديهي أنهما ستتواجدان في جناح "باردو"، وبذلك

سيكون فرصة للتواجد هناك، والدخول إلى الموضوع؟ وسيكون ذلك

بالتأكيد أصعب معك عما يكون عليه عندما أكون بمفردي. هل فهمت

الآن؟

- فهمت... خاصة أنك ترغب في جعلني أجهول في المعرض، وأن

أقف أمام الرسوم في انتظار مرور فتاة أحلامك...

عندما شاهد الضيق بادياً على وجه "مارك"، أضاف:

- منذ متى أجذك في حاجة إلى مساعد للوصول إلى رضا فتاة؟!

- أنت بالتأكيد لا تفهم شيئاً. أخبرك بأنها الفتاة التي...

قاطعه "جيلبير" غير مصدق هذا التأكيد:

- آه...!

ولكن "مارك" هز كتفيه غير مبالي بتعليق زميله:

-... من تبادل معها الكلام لم أنطق أكثر من ثلاث كلمات،

ولابد من تواجدها وسط جمهور من الناس؛ حتى أتمكن من تبادل

الحديث معها عن كل شيء وكأنها مصادفة ليس إلا. ستري كم هي

جميلة بما لها من طابع وديع، ساذج، بريء.
أشار له "جلان" ساخراً:

- من عادتك أنك تفضل فصيلة "الفهد" من الفتيات. من جانب آخر يا صديقي الصغير "مارك"، أراك في كل مرة تمدح لي صفات ومحاسن شخصية جميلة أعجبت بها، أجذك قد غفلت حتى عن رقم تليفونها بعد شهر. بالمناسبة، كيف حال "كورين"؟
هكذا ختم كلامه بلهجة تفيض بالسخرية.

دون أن يجيبه، بدأ "مارك" في تغليف اللوحة الثانية و"جلان" اتجه إلى المشرب. وأثناء ما كان يميل على الثلاجة الصغيرة لتناول قطع ثلج لمشروبه، سأل صديقه ثانية:

- على الأقل، هل علمت اسم هذه الصغيرة الجميلة؟
- "ستيفاني" ماركتيني دي بروسو، وهي إيطالية كما يشير اسمها إلى ذلك. وهي وافدة من "فينيسيا".
انتصب "جلان" فجأة:

- هل هي من أسرة هاوي جمع الصور والرسوم الشهير الذي مات إثر حادث سيارة منذ سبع أو ثمان سنوات؟
- إنها ابنته.

- كنت في هذه الفترة مهتماً بل مولعاً بهذه الأشياء القديمة. ولقد تحدثوا كثيراً عن لوحاته بعد وفاته. أتذكر أنه كان يمتلك - من بين العديد غيرها - لوحة لـ "ليونارد دافنشي" وهي نادرة جداً في المجموعات الخاصة. لقد رأيت مثلها. إنها عذراء حامل طِفلاً ومن خلفها منظر طبيعي... إنه إنتاج فترة الشباب، هذا المنظر الريفي غير الحقيقي بما فيه من بحيرة وجبال صخرية يُشعرُ الناظر إليه بمستقبل هذا الفنان الكبير. وهذه اللوحة، هل هي ملك لابنته أم لأرملته؟

لم يُجب عليه الشاب في الحال. على ما يبدو أنه لم يسمعه؛ لأنه كان يدير الكوب بين أصابعه. وأخيراً نطق في نبرة لامبالاة:
- لست أدري.

وكان واضحاً أنه لم يكن يفكر في الفنان الإيطالي الشهير الذي يدفع بالجموع إلى المتاحف بل كان يفكر في هاتين العينين الزرقاوين اللتين ألقيتا إليه نظرة خاطفة.



ها هي جموع أتية تسرع - بالقرب من الـ "شانزليزيه" - إلى مدخل "جراند باليه" المضاء في تلك الليلة، وكان كل هواة الفن في "باريس" يصعدون السلم الكبير، يمرون بين الأعمدة، والجميع يتعارفون، يحيون بعضهم البعض. كان عدد الزبائن كبيراً جداً حتى إنه منح هذا العرض اللامع طابعاً أجنبياً. وكان الزوار قد تجمعوا أمام الأقسام عندما وصلت "ستيفاني" و"أورورا".
تمتصت الكونتيسة إلى الفتاة:
- أتيق جداً، وذو ذوق رفيع.

وفي الواقع، لقد أبدع مصمم الديكور؛ إذ كان المبنى مغطى بالديباج من القطيفة الرمادية على الزوايا الأربع.
كما أن العرض كان موضوعاً في تناسق رائع، البعض على ممرات سواء كانت مستقيمة أم مقوسة والبعض الآخر يصعد إليه المرء عن طريق بعض الدرجات. وكان هناك ركن متخصص لمطعم ومشرب. وكانت مكبرات الصوت - وهي مخفية بعناية - تبث موسيقى هادئة. كان الزائر يحتار أين يوجه نظراته: إلى الأثاث، أم إلى السجاد، وإلى الخلي الصينية، والغضيات، أم إلى الأشياء المملوكة من الشرق ومن "الصين"؛ وتماثيل، ولوحات ورسومات. وكان كل بائع يفخر بعرض ما هو نادر وقيم.

أما جناح "هنري باردو" - وكان قريباً من المشرب - فكان يتضمن لوحات رائعة ترجع إلى "المدرسة الفنلندية" وهي عامة تحظى بإعجاب الهواة.

في هذه الأثناء، كان "جيلبير" قد بدأ صبره يتفد وهو بالقرب من

"مارك" الذي قضى نحو ساعة في مساومة مع أحد باعة الرسوم. وأخيراً أقنع ذاته بأهمية وجوده بالقرب من الشاب عند وصول السيدة والفتاة، وكان قد قام مرتين بجولة حول الأقسام المجاورة، وفي اللحظة التي تأهب فيها للاستئذان من "مارك"؛ لكي يلحق بباعة الأسلحة القديمة التي كان مولعاً بها، إذا به يسمع صوتاً ذا نبرة إيطالية يقول في دلال:

- عزيزي "باردو" أخيراً وجدتك! إننا منذ وصولنا لم نقم إلا بلقاءات ودية. لم أعد أتذكر الحصول على هذا الكم من الأصدقاء في "فرنسا"، شيء رائع! إنني أتساءل: لماذا أَدفن نفسي في "فيسيا"؟ أه... صباح الخير يا سيد "دي".... "موجاندر" أليس كذلك؟ لقد تقابلنا مؤخرًا كما يبدو لي...

وقف "جالان" يتطلع إلى السيدة التي انحني أمامها "مارك" فهي ناضجة، ذات شعر أسود بلون "جناح الغراب"، وعينين سوداوين ذاوتين نظرة جذابة، كثيفة الزينة، وقم واسع يكشف عن صفحي أسنان لامعين، وجدها جذابة، بما لها من قوام أقرب ما يكون لتمثال منحوت وهي في "تايبير" من الجلد الأبيض يبدو كأنه بشرة أخرى. هذا بالإضافة إلى فراء ثعلب - أيضًا أبيض - يكمل هندامها العجيب. قدر الممثل الكوميدي عمرها من أربعين إلى خمسة وأربعين عاماً. ثم بعد هذا الفحص انتقل نظره إلى الفتاة الواقعة بعيداً بعض الشيء بمفردها، والتي التفت إليها "مارك". لا شك في أنه اعترف بأن صديقه على حق.

فهي حقاً جذابة، رشيقة بقوامها النحيل، جميلة بملامحها المنسجمة الرقيقة.

مدت يدها إلى الشاب مبتسمة، وقد بدت سعيدة بلقائه. تأملها "مارك" في إعجاب. كانت الكونتيسة مستمرة في الحديث عندما اقترب "جيلبير جالان" من الفريق.

قال "باردو":

- هل هناك ضرورة يا سيدتي العزيزة أن أقدم لك الممثل المشهور "جيلبير جالان"؟

ثم التفت إلى الممثل وأضاف:

- الكونتيسة "ماركتيني دي بروسو".

مدت يدها إلى "جالان" الذي مال على الأصابع المحملة بالحقائب.

قالت بصوتها العذب المنغم مع ابتسامة ساحرة:

- لا تقدر سيدي كم أنا متبهجة بلقائك. إنني إحدى المعجبات بك.

اعتقدت أنني شاهدت كل أفلامك.

ثم التفتت إلى الفتاة، وكانت تتحدث مع "مارك" - وأضافت:

- ها هي ابنة زوجي "ستيفاني".

بعد ذلك شمل الحديث الجماعة كلها. وعندما وصل زبائن آخرون انتهز

"جالان" الفرصة؛ لكي يختفي.

ثم أردفت "أورورا":

- أطلب منك يا سيد "باردو" مقعداً؛ لأنني تحولت كثيراً اليوم في

"باريس" وهاتنا أشعر بتعب شديد. وأنت يا "ستيفاني"، وأصلي

جولانك يدوني، وسوف تجديني هنا، لأنني أصبحت عاجزة عن

الحركة.

واقفت الفتاة وانصرفت..

قالت "ستيفاني":

- أرغب في العودة إلى جناح "بريسيه". أريد مشاهدة التماثيل

القوطية الجميلة التي يعرضها مرة أخرى.

سألها "مارك" منتهزاً الفرصة:

- أترغبين في أن أرافقك؟

فجأة استنار الوجه الجميل. أجابت:

- بكل سرور.

ثم ابتعد الشابان تحت نظرة "أورورا" الراضية.

إن ذكرى "مارك" لم تفارق "ستيفاني" وإن كانت لم تكف عن

التفكير فيه إلا أنها لم تحدث زوجة أبيها عنه، مخبئة في قلبها هذا

الإحساس العجيب الذي تولد عندها. كانت الفتاة في النهاية قد وثقت

بأنها ترجو مشاهدته، وترغب في أن تتحدث معه، وكانت تتساءل في شيء من القلق إذا كان هو أيضاً من جانبهِ يشعر بنفس الرغبة، وأنه سيحاول أن يتواجد في جناح "باردو" بالمعرض حتى تكون له فرصة لقائها. وكانت أيضاً حريصة على إخفاء مدى تعجلها الاتجاه نحو لوحات البائع - منذ اجتيازهما أبواب "جراند باليه" - عن "أورورا". سارت بالقرب من "مارك" - وكانت مشرقة من السعادة - بين ممرات المعرض. وعندما اقتربا من جناح "بريسيه"، سألتها الشاب:

- هل تحبين النحت بصفة خاصة؟

- نعم. أحب هذا النوع من التعبير؛ لأنني أتاثر به أكثر من الرسم. وبما يكون ذلك بسبب الأبعاد الثلاثة. إنه الفن الكامل. هناك تماثيل تنفرد بنقل الحضارات الماضية. فهي مازالت شامخة، صامدة، باقية، على أنقاض آلاف السنين...

ثم مكثت لحظة صامدة بعد اعترافها هذا قبل أن تنطلق في الضحك:

- يبدو لي أنني أصبحت خيالية! لكن هذا لأنك دفعتني إلى أفضل المواضيع التي أهتم بها.

وكان "مارك" يستمع إليها دهشاً ومبتهجاً في الوقت ذاته.

كان يفكر في أن هذا النوع من الحديث لم يكن - عامة - هو الذي يتبادله مع فتاة جميلة، وهذا التعليق الصادر من هذه الفتاة التي تبدو مولعة بالفن أعجبه كثيراً! وأخيراً بعد جولات متكررة، تواجدا أمام "باردو" حيث كانت الكونتيسة تتبادل حديثاً مع ثلاثة زوار. عندما انتهما، أبدت لهما إشارة بيدها، واستمرت في الحديث. ثم أمسك "مارك" بذراع "ستيفاني" لكي يصطحبها إلى المشرب.

- ألا تعتقدين أن مشروباً مرطباً يعتبر ضرورياً بعد هذه النزهة وسط المجموع؟

أخفضت رأسها علامة الموافقة، وانقادت إلى مائدة فارغة.

ارتجفت الفتاة عندما رآته يرفع كأسه ناظراً إليها قبل أن يرطب شفثيه به. ثم شعرت بقلبيها ينبض في صدرها.

سألها في مزح مبدئياً ابتسامته الساحرة التي لا تقاوم:

- الآن وقد تكلمنا كثيراً عن الأشياء الفنية، أود أن تكلميني عنك يا "ستيفاني". أؤمن للممكن؟

- يمكن يا "مارك". غاية ما في الأمر، ليس لدي الكثير عن نفسي حتى أخبرك به.

- إنك إيطالية، وتسكنين "فينيسيا". ومع ذلك تتكلمين الفرنسية بدون لهجة إيطالية. ماذا تعلمين؟ أعتقد أنك لا تتبعين زوجة أبيك طوال الوقت. على الأقل هذا هو اعتقادي؟

- لقد بدأت الحياة معها منذ فترة قصيرة؛ لأنني كنت في مدرسة داخلية في "جنيف"، إلى أن حصلت على البكالوريا، ومن هنا معرفتي الجيدة للغة الفرنسية. بعد ذلك مباشرة عدت إلى "فينيسيا" غير أنني سافرت تقريباً مباشرة للتوجه إلى "فيشي" وهي أيضاً في "سويسرا" حيث تابعت الدراسة لمدة عامين. وكنت لا أعود إلى منزلنا إلا أثناء الإجازة الصيفية. وكانت "أورورا" كثيرة التغيب في هذه الفترة، إنها تميل إلى الأسفار! إنها حياتها.

أردف "مارك" دهشاً:

- إلى "فيشي"؟ ليس هناك أفضل مدرسة في "أوروبا" لدراسة فن التصوير؟ هل كنت هناك؟

وضحت في تحفظ.

- أنا مصورة. لقد تعلمت هذه المهنة بالمصادفة. كانت لي صديقة في الداخلية "نيكول". لقد خطبت بعد حصولها على الشهادة مباشرة. وفي الاحتفال الذي أقيم لهذه المناسبة، تقابلت مع المصور الشهير "جي بوردان". لا شك في أنه رأيته أتيقة في ذلك اليوم، حتى إنه جعلني أقوم بدور المانيكان. ولما أعجبتني مهنته، رغبت في الانتقال إلى الجانب الآخر من العدسة. وما أحبيته هو تثبيت الأعمال الفنية على الفيلم. لقد حصلت على شهادتي وأرغب في العمل بها، لكن "أورورا" دائمة التنقل، لا تميل إلى البقاء في مكان واحد ولا لفترة طويلة في أي مكان،

كما سبق أن أشرت لك بذلك . كما أنها ترغب في أن أرافقها في تنقلاتها لأنها تدعي أنها لا تستطيع التخلي عني ! ومع ذلك نجحت في الحصول على عدد من الزبائن ليس بالقليل في "فينيسيا" . لقد أعددت لهم - من أجل الكتالوجات الخاصة بهم - صوراً لأجمل مسرحيات "دي مورنو" .

وكان "مارك" يصغي إلى الفتاة الوديدة الرائعة، التي كانت تحكي له حياتها وآمالها بكل بساطة . وبعد فترة صمت قصيرة اختتمت كلامها :
- إذا كانت فقط "أورورا" تستطيع أن تتخذ قراراً بالبقاء في "باريس" أو في "روما" ، فيأتي ساستطيع أن أنطلق . أما بالنسبة للحالة المادية ، فليست في حاجة إلى المال ، لكنني لا أستطيع البقاء بلا عمل وبلا هدف طوال حياتي ! في هذه الحالة سوف أشعر بأنني شخصية غير نافعة ...
مدت يدها - وهي غارقة في التفكير - نحو غلبة السجائر الموضوعة على المائدة . حينئذ وضع يده على يدها ومال نحوها كأنه يريد أن يكلمها . في هذه اللحظة بالتحديد ، أحاطت بهما فرقة من الأصدقاء تشير ضجة . فتراجع في الحال .

الفصل الثالث

بعد أن قضى فترة ليست بالقليلة في جناح أحد المتخصصين في الأسلحة القديمة ، عاد "جيلبير جالان" إلى جناح "باردو" ؛ حتى يتأكد من أن صديقه تمكن من اصطحاب الفتاة بعيداً عن زوجة أبيها الثائرة . كانت هذه الأخيرة تتبادل حديثاً مع ثلاثة رجال ، على ما يبدو أن أحدهم من أصدقائها . عندما اقترب منهم استقبلته "أورورا" بكل مظاهر الترحاب واللفظ وانطلقت في الحال إلى حديث جديد . وطلاقة اللسان التي تتمتع بها جعلت الممثل الشهير يتساءل متى نجد هذه السيدة الوقت للتنفس .

ولما أبدى قلقه لغياب الشابين ، أشارت له الكونتيسة إلى المشرب .

وعندما رأت المجموعة أنه يعترم التوجه إلى الشابين تبعته . جلسوا جميعاً حول المائدة ، وبإشارة من "مارك" أحضر النادل الشرب . مرة أخرى أعلنت "أورورا" أنها لا تفهم حقاً سبب حياتها بعيداً عن "باريس" .

- لكن ، يا سيدتي العزيزة ، لماذا لا تسكنين "باريس" ؟
قال "مارك" هذا . وهو يغمز بعينه إلى "ستيفاني" التي ألقت إليه ابتسامة خاطفة .

- إنك على حق يا عزيزي ، هل يعجبك هذا العرض يا "ستيفاني" ؟
غاية ما في الأمر يلزمنا مسكن ؛ لأن حياة الفنادق مملّة ، كلها عادية !
سألها جالان :

- في أي فندق نزلتما ؟

- في "جورج الخامس" حيث حجزنا جناحاً .

أردف للممثل الكوميدي ساخراً :

من البديهي أن جناحاً في "جورج الخامس" يعتبر شيئاً عادياً .

شعرت "ستيفاني" بالحرج مما تبديه زوجة أبيها من مبالغة ؛ وبالتالي ندمت على لقاءها مع "مارك" على الأفراد . إنها المرة الأولى في حياتها التي تضع فيها ثقتها بشباب ، كما أنها شعرت بالطمأنينة عندما ضغط على يدها برفق . وأثناء ما كانت الفتاة غارقة في أفكارها ، لم تشعر بمول مخلوقة . جذابة ! انتفضت عندما سمعت صوتاً ذا نبرة معسولة يقول :

- هانت هنا يا "مارك" يا عزيزي ! كنت متوقعة وجودك هنا ... لماذا لم تنتظرنني ؟

وإذا بـ "مارك" ينهض بسرعة كادت تسقط مقعده مما تسبب في أن جميع الأنظار صوّبت نحوها ، نحو هذه الفتاة ذات الشعر الذهبي ، والقوام الرشيق التي أمسكت بذراع الشاب وواصلت :

- عندما اتصلت هاتفياً بمنزلك أخبرتني "أنا" بأنك خرجت منذ فترة قليلة . وهذا بالرغم من أنني أخطرتك بالـ "تلكس" أنني قد أصل من

"نيويورك اليوم!"

ولما لم يجيبها تفرست فيه دهشة، وأخذت تضحك بلطف قائلة لكي نداعبه:

- أرجوك ألا تبدي مثل هذه البراهين لإثبات سرورك عندما تلتقي بي! ليس أمام أصدقائك! كان من الأفضل أن تقدمهم لي، وأن تعطيني مقعدك.

ثم توجهت إلى "جيلبير" - الذي نهض فور وصولها - وأبدت له إشارة ودية. قالت:

- آه! إنك هنا؟ صباح الخير. هل تعلم أن فيلمك الأخير أساء إلى "الولايات المتحدة"؟ أين زوجتك؟

- إنها في المنزل... إنها متعبة بعض الشيء. اتصل بي بها؛ لأن ذلك يرضيها. إنها تحبك كثيراً. لكن، على ما يبدو أنك تتمتعين بصحة جيدة! هذا بالإضافة إلى أنك تزدادين جمالاً أكثر فأكثر: إنك فعلاً بهجة للنظر، تفيضين حيوية..

هكذا حدثها الممثل الكوميدي ضاحكاً، مما زاد من عمق النقرة التي يذقنه.

استنار وجه السيدة بابتسامة مشرقة، ثم جلست بجوار "ستيغاني" التي شعرت بالحيرة فجأة. لم تمرؤ الآن أن ترفع عينيهما نحو "مارك" الذي - بعد أن طلب لها مقعداً وكأساً - يقوم الآن بعملية التقديم.

"كورين ميركاديه" - تقرب من الثلاثين من عمرها - وهي ابنة جراح شهير متخصص في جراحة التجميل، وهي مدللة. كان والدها يحبها؛ لأنها وحيدته ويلبي كل رغباتها وأهوائها، ويزيد بسخاء حسابها في البنك. كانت قد التحقت بمدرسة الفنون الجميلة، وعندما فاتها الامتحان، تزوجت في هذه الفترة من شاب رسام، وسرعان ما تخلت عن كل شيء؛ لكي تلتحق بمدرسة "اللوفر" التي تركتها لمتابعة دراسة غير معروفة للمحيطين بها. لكن منذ عامين تقريباً اكتشفت ميلاً للأشياء القديمة. فأسرع والدها حينئذ بإهدائها "محلاً" في "فيلاج

سويس" وهو حي الأشياء الأثرية الشهير الذي يقع بالقرب من برج "إيفل". وهي شخصية صبور وذات كفاءة واختصاص في هذه المهنة. بعد ذلك اتجهت إلى آفاق أخرى.

وكان من المستحيل أن يؤخذ عليها مأخذاً عن أي شيء كان، إذ إن سحرها كان يؤثر في الجميع.

ومنذ شهر أعجبت بالشاب الجميل "مارك دي موجاندر" الذي - بسبب الاعتراف بذلك - وقع هو أيضاً في هوى وسحر هذه الشابة الساحرة.

والآن، ها هي الكونتيسة تعجز عن التحدث؛ لأن "كورين" كان لديها أمور كثيرة ترغب في سردها. أما بالنسبة لـ "مارك" - بعد أن سحب مقعده بينها وبين "جالان" - فكان يبدي سروراً عميقاً في الاستماع إليها وهي تسرد بعض الأحداث والنكات اللاذعة عن إقامتها الحديثة في "نيويورك".

كما أن "ستيغاني" - بالرغم مما كانت تعانيه من حيرة وضيق ينقبض لهما قلبها - كانت أيضاً قادرة على الامتناع عن الإعجاب بشخصية ابنة الأستاذ "ميركاديه" اللامعة.

- آه، "كورين"! إنني سعيد بلقائك. لقد حاولت عيناً الاتصال بك هاتفياً في هذه الأيام الأخيرة؛ لأنني عندي خبر سار أرفقه إليك.

اتجهت كل الأنظار إلى هذا الشاب الذي أتى ووقف بالقرب من السيدة. وهو شاب فارع، نحيف، يرتدي بدلة آخر صريحة، ذو نظرة حادة تتعارض مع ما له من مظهر متراع. أطلقت صرخة سرور، نهضت بسرعة، ثم تعانق الصديقان. بعد ذلك قامت "كورين" بتقديم الوافد الجديد:

- الأستاذ "جيرار ديرييه". المحامي الخاص بي.

بعد أن قدم هذا الأخير التحية للمجلس، جلس بجوارها وبذلك فصلها عن "جالان".

- سبق لي يا صديقتي العزيزة أن أخبرتك بأن لي زبونا يمتلك شقة

في حي "هولس"، وأنه جار ترميمها وتطويرها. لقد زرته ووجدتها مناسبة لما ترغيبين في العثور عليه.

- آه، شكراً يا "جيرار". إنك "حبوب" ! ساهتم بهذا الأمر منذ الغد. اكرر لك شكري!

وكانت الكونتيسة في هذه الأثناء قد انتصبت:

- هل تعرف أماكن شقق خالية يا أستاذ؟

ابتسم المحامي قائلاً:

- لا يا سيدتي، لقد سمعت التحدث عن هذه الشقة بمحض المصادفة.

عادت "أورورا" من جديد إلى قصتها: وهي رغبته في العثور على مسكن لكي تستقر في "باريس". وكانت في هذه المرة توجه كلامها إلى "كورين" والمحامي. فما كان من السيدة الشابة إلا أن صاحت:

- ولو أنني تركت مسكني الحالي وهو في حي "تروكاديرو"، فقد يناسبك. به حجرة معيشة، وثلاث حجرات ملحق بإحداها صالون، وأتيليه للرسم مع مدخل منفصل عن الشقة. وهو بالطابق الأرضي في عمارة صغيرة، كما أنه يطل على حديقة داخلية ذات سحر رومانسي. إنه أحد القصور القديمة التي ترجع إلى القرن الماضي. ولقد تم تحويله بغير راع.

في الحال أردفت "أورورا" معلقة:

- كم أعشق هذه الأماكن التي يطل استعمالها.

أما "ستيفاني" فكانت تترك المجال لخيالها، أثناء ما كانت تستمع باذن شاردة إلى "كورين" وهي توضح أنها لم تعد قادرة على السكن بعيداً عن حي "هولس"، لأنها ترغب في الصعود إلى مستوى مباهج حياة العاصمة، وأن هذا الحي وحده هو والماريه كفيلان بذهنها الذي لا يكف عن الحياة في الماضي...

وكان "مارك" يلقي بنظرات إلى "جيلبير" وبيتسمان.

أما "ستيفاني" فهي الآن ترى ذاتها في الأتيليه: تعد فيه معملًا

واشتغل في التصوير. ثم عادت إلى الأرض أي أفاقت عندما سمعت "مارك" يتحدث عن مصنع "بورتريكو":

- لقد وقعت منذ - فترة قليلة - عقد بيع الأراضي، ولقد تم الحصول على تصريح مشروع البناء من قبل هيئة الأشغال. لقد تم إعداد كل شيء ولا يبقى إلا البدء في التنفيذ؛ لأنني أرغب أيضاً في إنشاء مصنع حديث مع مساكن مناسبة لليد العاملة في إطار حياة ممتعة للجميع.

- رائع!

هكذا تعجبت "كورين".

- وأتوقع أنك سوف تقيمين - في الأيام القليلة القادمة - إحدى ممراتك الجميلة التي تحتفظين بسرّها؟

- ولم لا؟ لقد أعطيتني فكرة. قريباً، استقبال كبير تكرماً لافتتاح مشروع "موجاندر" الجديد!

هكذا أعلنت ضاحكة.

لاحظت "ستيفاني" أنه يسند ذراعه على ظهر المقعد الذي تجلس عليه السيدة الشابة. كما أنها كانت تهز رأسها بلا توقف، كان رأسها يهتز بوجه "مارك" لكنه كان لا يتراجع. حينئذ حدثت نفسها بأنها لا بد أنها كانت تحلم عندما تخيلت أنه متأثر مثلها أثناء سيرهما معا. بل ذلك بقليل. إنه ببساطة رجل ودود، ومن البديهي أنه وجدها جميلة وكان - عندما رأيا تنصرف بمفردها - قد عرض عليها أن يرافقها، وقد كان هو أيضاً رجلاً في هذه اللحظة.

كان ميلهما وولعهما بالأشياء المتعلقة بالماضي قد قارباها من بعض الناحية، تماماً كما اجتمع الأصدقاء حول هذه المائدة في شيء من التجانس. لقد جال ذهني الرومانسي على خريطة "تاندرو". هكذا فكرت وهي تسخر من نفسها في شيء من المראה؛ إذ إنها من فرط التفكير بها فيه منذ لقائهما عند "هنري باردو"، كونت لذاتها قصة جميلة... ختم "مارك" الحديث قائلاً:

- إنني أدعوكم قريباً عندي!

صاح أحدهم:

- سنتوجه بكل سرور.

ثم متوجهاً إلى "أورورا" قال:

- سيدتي العزيزة، سوف أرسل لك دعوة، وأتعلم أن تتكرمي بالرد عليها، وكذلك "ستيفاني".

هكذا أضاف وهو يلتفت نحوها.

وإذا بشعاع رضا يلعب في عيني الكونتيسة. لقد توطدت علاقات ودية بينها وبين "موجاندر" وأصدقائه. ومن يدري ربما تتحقق الفكرة الخاطفة التي أتت إلى ذهن هذه السيدة، إثر لقاءها بالشاب رجل الأعمال الصناعية. كثيراً ما تكون المصادفة خلف أمور كثيرة.

كانت "ستيفاني" بمثابة طعم له، ثم تسبب وصول "كورين" غير المتوقع في إفساد كل خططها. غير أنها لم تتم كل الأعياب، هذا بالإضافة إلى أن لها العديد من المشاريع. على أي حال، كان من عادتها، ألا تتعجل أبداً. كانت تجيد الانتظار لأن الشجرة لا تسقط من شجرتها إلا عندما تنضج، وهذا الشخص لم يكن حتى الآن إلا في حالة مجرد فكرة...

وكانت نهاية الحفل، ونهض الجميع من أمام المائدة، بينما كانت "أورورا" تجيب على "مارك" بتلك المودة التي لها في الحديث والحركات وهي من سمات شخصيتها:

- إن تفكيرك فينا يعتبر نحة طيبة. سوف يأتي اليوم - عن قريب - الذي سوف تتناول فيه طعاماً عندنا احتفالاً بالمنزل الجديد.

عندما سمعت "كورين" هذه الكلمات، اقتربت منها وتعاهدت السيدتان على اللقاء لمشاهدة مسكن "تروكاديرو" وهما متجهتان نحو باب الخروج.

عرض عليها الأستاذ "ديريه" سيارته، غير أن "أورورا" أعلنت أنها استراحت بما فيه الكفاية حتى تتمكن من الوصول إلى الدشانتزليزه بل إلى فندق "جورج الخامس" سيراً على الأقدام.

ثم دون أن تفكر في أخذ رأي "ستيفاني"، قالت مع تنغيم نبراتها:

- إنني أعشق المشي في "باريس" في الليل.

ورفضت "كورين" عرض "ديريه": كانت تفضل العودة مع "مارك".

وأمام ما بدا على الشاب من ضيق، أتى "جيلبير جالان" إلى تجذته.

التفتت السيدة إلى الرجلين، وأطالت النظر إلى وجه "مارك" الذي

تظاهر بأنه لا يفهم السؤال الذي يمكن قراءته في عيني صديقتها

الجميلتين. ثم مقترباً من ابنة زوج الكونتيسة، أمسك بيدها وضماها

طويلاً وهو يتمتم:

- أشكرك؛ لأنك سمحت لي بأن أرافقك في المعرض، وأن أكون لك

مرشداً، كما أنني أشكرك أيضاً على ثقتك بي حتى إنك صارحتني

بالكثير من أمور. إلى لقاء قريب يا "ستيفاني"، اعلمي في التصوير

في "باريس".

عجزت الفتاة عن الرد؛ لأنها شعرت بانقباض في حلقها، إذ شعرت

بالعادة تغمرها، حينئذ ألقت "كورين" نظرة سريعة نحوهما،

وتوقفت عن الكلام إذ كانت لا تزال تتحدث مع "جالان". التفتت

فجأة نحو الممثل الكوميدي غير أنه كان يميل برأسه؛ لكي يشعل

سيجاره.

و"أورورا" - بالرغم من أنها كانت منهكة في تبادل الحديث الآن

مع الهامي - لم يفتأ شيء من الحديث الخاطف الذي دار بين الشابين.

ثم انصرف السيدتان في اتجاه الشارع الشهير. بدأ الإحساس ببرودة

الليل، فعملت الكونتيسة على ضم القراء حول عنقها، مع استمرارها

في مواصلة الكلام، لكن هل من فائدة من ذلك؟

ولما كانت الفتاة معتادة هذه الثرثرة، لم تستمع إليها، وتقدمت

بخطى سريعة بجوارها.

- أترغبين يا "ستيفاني" في التوقف عند "فوكيتس" لتناول مشروب

ساخن قبل العودة إلى الفندق؟

أمام صمت الفتاة التي بدت وكأنها لم تسمع شيئاً، كررت

الكونتيسة سؤالها.

أخيراً أجابتها الفتاة:

— لا، لا أشعر بالرغبة في ذلك؛ لاني متعبة.

غير أن الفتاة كانت تشعر في الواقع برغبة في التواجد بمفردها في حجرتها؛ لكي تستعيد في ذاكرتها التفاصيل لكل جملة، لكل حركة، لكل عبارة من "مارك" لها. كانت في حاجة إلى تنظيم أفكارها، وذاكراتها. وإذا بها تطيل النظر إلى ثنائي يسير أمامها. الشاب وهو ذو قوام فارح نحيف يمسك بذراع الفتاة ويضمها إليه.

وكانا يتبادلان النظرات من حين إلى آخر أثناء ما كانا يسرعان الخطى. كان لهذا المجهول طريقة حانية وحاملة بأن يميل برأسه على رقيقته. رأت "ستيفاني" وجهه والابتسامة التي تضيئه. أغلقت عينيهما ليضع ثوان وقد لحق بها تأثير عجيب.

ولم أتجه الثنائي في جهة أخرى، حاولت أن تلمحهما للمرة الأخيرة. وفي هذه اللحظة — فقط — فهمت أنها وقعت في حب "مارك دي موجاندر".

— طاب مساؤك يا سيدتي — هكذا قال الموظف في الاستقبال وهو يمد لها يده بمفتاح مسكنها — إن أحدهم يرغب في مقابلتك. لقد طلب حجرة، وبعد أن استقر فيها، نزل إلى المشرب حيث ينتظرك.

ثم ألقى نظرة إلى مفكرة على مكتبه وقال:

— إنه يدعى السيد "رينالدي".

أطلقت "أورورا" صرخة تعبير عن السرور والدهشة في آن واحد، وأسرعت إلى المشرب، تتبعها "ستيفاني".

كان "فيتوريو رينالدي" جالساً يقرأ جريدته، وأمامه كأس يشرب ما بها ملقياً من حين إلى آخر نظرات قلق نحو الباب. كان هذا الشاب متوسط القامة، جميلاً، ومن الممكن أن يكون ذا سحر لما له من بريق في عينيه كشاب إيطالي، وعلى ما يبدو أنه لا يتجاوز سبعة وعشرين عاماً، وكان يرتدي بدلة بيج مع قميص حريري ذي خطوط رفيعة بلون بيج أيضاً ولون سماوي. أما حذاءه فكان لامعاً مثل المرآة.

صاحت "أورورا" وهي تحتضنه بقوة:

— كم أنا سعيدة يا عزيزي... لم أتوقع لقاءك بهذه السرعة!

فما كان منه إلا أن دفعها بشدة بعد أن طبع قبلة على وجنتها.

أردف في لهجة باردة:

— لقد تلقيت الشيك الذي أرسلته لي في وقت مناسب لكي أتجنب إقامة أطول في "سيدني". شكراً.

ثم التفت إلى "ستيفاني"، تغرس فيها قبل أن يتوجه إليها بشيء من الوداعة:

— لم ألق بك منذ فترة طويلة. إنك تزدادين جمالاً أكثر فأكثر!

ثم أضاف بلهجة ساخرة:

— ما زلت بلا رجل في حياتك؟! وضحك بعد ذلك في سخرية أمام نظرة الفتاة التي بدا فيها الحرج وقد علت الحمرة وجهها.

وكالمعتاد تضايقت لوجود "فيتوريو". ولم تتوصل حتى الآن إلى تفسير مشاعرها نحو. الأخ الأصغر لـ "أورورا". وبالرغم من معرفتها جيداً لما عليه زوجة أبيها من تجاوز في حدودها كانت تجد لها عاطفية نحو "فيتوريو".

شعرت فجأة بالضيق لوجود هذا الشاب الذي حكمت بأنه غير مناسب وفي غير محله.

لا شك في أنه سوف يقطن عند أخوته إذا استأجرت شقة "بروكاديرو"، ولن تغفل عن تقديمه إلى أصدقائها الجدد.

كما أنها قد تفرضه على سهراتها، وفي كل مكان، كما كانت تفعل في "فينيسيا". فكرت "ستيفاني" في أن "مارك" وأصدقاءه ليسوا من النوع الذي يقدر أو يسعى إلى صحبة "فيتوريو". تطلعت إليهما مرة أخرى، وهما جالسان الآن الواحد بجوار الآخر، وكم دهشت لوجه التشابه بينهما.

ثم بعد أن تحتمت "مساء الخير وإلى الغد"، صعدت إلى حجرتها وهي قلقة.

وكانت حركة نقل أثاث "كورين" - كسائر كل ما كانت تشرع فيه - قد تمت في خشونة من جانبيها.

إذ إنها في صباح اليوم التالي للـ"بينالي" لم تخدم إلا عندما اصطحبها "ديرييه" منذ الصباح الباكر إلى مالك شقة الـ"هولس". وكان هذا الشخص على استعداد للزيارة. كادت "كورين" تطير فرحاً عندما رأت المسكن وأيقنت أن وجهة نظر "ديرييه" كانت صائبة عندما أكد لها أنه - أي المسكن - مناسب لدوقها تماماً. إذ كان - وهو يقع في قلب حي "هولس" بالقرب من نافورة "لي إيتوسان" - يجمع بين سحر الماضي ورفاهية واستقرار العصر الحديث. تمت الإجراءات بسرعة، ثم تركها الأستاذ "ديرييه" أمام مدخل منزل "بابي" - للنقل من كل الأنواع - حيث أسرع إلى المكاتب وهي تعتمز الحصول على سيارة نقل في اليوم ذاته. عملت موظفة الاستقبال على تهدئتها في لطف، وانفتحت على موعد مناسب للقيام بهذه المهمة بنظام.

ولما كانت "كورين" مريضة بداء عدم الصبر، عادت إلى منزلها، وبدأت تحزم أمتعتها؛ مما جعلها تقلب المنزل رأساً على عقب في أسرع وقت. ومن خلال هذه الحركة، في الفترة ما بين تفرغ ما بدرجين، في حقيبتين اتصلت بـ"مارك" هاتفياً - وكان وقتئذ في مكتبه - لكي ترف له الخير.

ذكرها هذا الأخير بأنها كانت قد وعدت الكونتيسة بأنها سوف تترك لها المسكن الذي تشغله حالياً.

- يا إلهي، حقاً! كنت قد غفلت تماماً! حمداً لله أنك تتمتع بذاكرة أقوى من ذاكرتي يا عزيزي؛ لأنني كنت سأرتكب خطأ لا يصحح. إلى اللقاء يا عزيزي.

ثم أخفضت السماعه دون أن تنتظر أكثر من ذلك. وقف "مارك" حائراً ينظر إلى آلة التليفون وكأنه يراها للمرة الأولى في حياته. أشعل

سجارة وألقى بنفسه على مقعد ذي مساند وأغلق عينيه إلى النصف، واستغرق في التفكير. سمع صوتاً يهمس له في الأذن: "لو كانت "أورورا" تستقر في "باريس" أو في "روما"، فستتمكن أخيراً من ممارسة مهنتي. كم كنت أسعد لذلك". وإذا بعينين زرقاوين تنظران إليه عبرتين عن الأمل.

أطلقا "مارك" سيجارته وضغط على زر "الإنترفون" الموضوع أمامه. - اسمحي يا أنسة بالحضور عندي ومعك مفكرة الاختزال من فضلك، أحضري أيضاً الملفات الأخيرة الخاصة بـ"بورتريكو".

ثم أجمد فجأة وجهه النحيل وكأنه ندم في داخله: "ما الذي يحدث لي؟ (هكذا تساءل). هل سأصبح عاطفياً؟ لا شك في أنني قد شعرت".

الآن "ستيفاني" في حجرتها بمفردها، ترتب وثائق تصويرية. لم تكف الغشا - منذ الليلة الماضية - عن التفكير في "مارك" ووصول "كورين". هذه الـ"كورين" من هي بالضبط بالنسبة لـ"مارك"؟ فهي تبدو مألوفة منه، لكن ربما كان ما يربطهما لا يتعدى شعوراً بالزمالة؟ وكانت "ستيفاني" تعلم تماماً - وهي تحدث ذاتها بذلك - أنها تكذب على نفسها. لما سمعت زنين التليفون ورفعت السماعه تعرفت صوت مالك الذي طالما عدتها.

صباح الخير. أودع في التحدث إلى الكونتيسة "ماركتيني". - إنها غير موجودة، ولن تعود قبل ساعتين. أنا "ستيفاني" أيتها (وجهها).

أبدت "كورين" ابتهاجها لسماعها هذا، وعرضت عليها أن تلحق بها في "أروكاديرو" ولا شك في أن زوجة أبيها ستأتي للقائهما؛ وبذلك يكون في إمكانها معرفة أين ستكون إقامتهما الجديدة. ولما شعرت بأن "ستيفاني" مشردة، ألحت حتى إن الغشا قبلت بعد أن اقتشعت يديهما.

بعد زيارتها للحجرات التي بدت خالية، وقفت "ستيفاني" تتأمل

الصالة الكبرى التي سوف تكون "أنيليه". ها هي ترى ذاتها فيها مسبقاً. التفتت إلى "كورين" مبتسمة:

- أتعشم أن "أورورا" ستوافق. عني شخصياً، لو كنت مكانها لوافقت فوراً!

- أخبريها برأيك، إنك لست فتاة صغيرة بعد! هل أنت خجول؟ هكذا سألته "كورين" وهي تنفحها.

- لا. غاية ما في الأمر لم تكن لي - كثيراً - الفرصة قبل الآن للتعبير عن رأيي ولا عن رغباتي! لأنه - لو علمت - لم يسبق لي أن سئلت عن ذلك قط. إن القرار لـ "أورورا" دائماً؛ نتوجه إلى هناك، نرحل لأجل... ثم نعود... إلى... كانت تتصرف كما يحلو لها عندما كنت في "سويسرا" لدراسة فن التصوير بعد خروجي من المدرسة الداخلية... لكن منذ عودتي إلى "فينيسيا" فهي المسؤولة الوحيدة عن كل الشؤون المادية، وبما أنها - بطبيعتها - لا تميل إلى الوحدة، فهي لا تستطيع التخلي عني! لقد تركها أخوها منذ أن غادر المنزل من أجل أعماله كما تعلمين.

ثم عضت الفتاة على شفتها. لماذا تحدثت عن "فيتوريو"؟ وإذا ندمت على كلامها هذا، اتجهت في صمت إلى الصالون.

رفعت "كورين" الملابس الموجودة على أريكة ضخمة، وجلست عليها في ارتياح في انتظار الكونتيسة التي اتصلت هاتفياً منذ قليل معلنة وصولها بعد لحظات.

فجأة سألت السيدة "ستيفاني":

- هل تعرفين "مارك" منذ فترة طويلة؟

انتفضت الفتاة قليلاً؛ لأنها فوجئت بهذا السؤال، غير أنها أجابت في بساطة:

- لا. لقد قابلته للمرة الأولى عند بائع لوحات قبل الاحتفال بهضعة أيام. وهو صديق قديم للمرحوم والدي.

بدت الظمائية على "كورين" وإن كانت قد دهشت.

قالت:

- كنت أظنكما علي صلة قديمة، أقوى من ذلك. لكنكما علي ما يبدو كنتما أكثر اتصالاً ليلة أمس. إنه شاب خطير رائع، جذاب أليس كذلك؟ عندما أتواجد في إحدى السهرات أجد متعة في مشاهدة الشفاف الفتيات حوله، مثل الفراشات حول النور دون أن يفكرن في أنهن معرضات لأن تحرق أجنحتهن الجميلة فيها! ومن جانبهن، أراهن بلقين إليّ بنظرات الغيرة...

وها هي "كورين" - بدورها - تندم هي أيضاً على التطق بهذه الكلمات. لماذا تكلمت هكذا مثل ببغاء الصالون مع هذه الفتاة الصغيرة: "لأنها فعلاً ليست سوى فتاة صغيرة - هكذا حدثت نفسها" - تبدو وديعة، غير مؤذية وغير كفيفة بالقيام بالثرثرة مع السيدات الأخريات. بل بالعكس لقد لمست فيها الجانب الطبيعي والصادق الذي يدفع إلى التعلق بها. ثم هزت شعرها الكثيف الأحمر، ولحوت من ذهنها تلك الفكرة التي آتت إليه بأنها قد تكون غيوراً... "أورورا؟ هي؟ مستحيل! لا!

أشعلت "ستيفاني" سيجارة في هذه الأثناء؛ لكي تمالك نفسها، إذ كانت كلمات "كورين" أشبه بأشواك صغيرة غرست في قلبها، فكانت تبحث - بائسة - عن ردٍ مقنع. غير أن دخول "أورورا" أنقذها في الوقت المناسب.

ومت الأمور بسرعة. وقعت الكونتيسة في نفس اليوم عقد الإيجار وبعد يومين أخلت "كورين" الشقة، وذلك بنقل أثاثها.

كانت "ستيفاني" ومعها "فيتوريو" يتناولان العشاء في رفقة "أورورا" في مطعم الفندق، وإذا بهذه الأخيرة تخرج من حقيبتها ورقة عليها مذكرات. التفتت إلى أخيها وفي عينيها شعاع الحنان الفاضل الذي نكته له دائماً.

- سأكلفك يا عزيزي بمهمة لشقتي بك. ها هي قائمة الأثاث واللوحات التي أرغب في جلبها من "فينيسيا". وأنت يا "ستيفاني"

يجب أن أسالك عن رأيك لأن بعضها يخصك ...
ابتسمت لها الفتاة:

- تصرفي كما يحلو لك، يا "أورورا". سيكون كل شيء على ما يرام.

وأنا واثقة بذلك. بالنسبة لي، ليس أكثر من تواجدني في "باريس" وأن يكون لي فيها "أثليتي"، هذا كافٍ جداً لإسعادي.
انتفضحت الكونتيسة.. ثم قالت:

ليست لي نية إحضار كل اللوحات. البعض فقط؛ مقابل ذلك أجد أنني متمسكة حتماً بالحصول على لوحة "دافنشي".

مكث "فيتوريو" لحظة جامداً والشوكة التي بيده معلقة في الهواء، وإذا بشعاع غريب يلمع في عينيه وهو يشبث النظر على أخته التي واصلت:

- إنك تعلم مكانه يا أخي الصغير.. اليس كذلك؟ سأعطيك الأوراق اللازمة له، واهتم بالتأمين والجمرك. اعمل خاصة على العثور على شركة نقل ذات عربات مصفحة، وحمالين متميزين.

أجابها وقد عاودته شهيته:

- مفهوم.

- أما أنت، فلك فكرة في رأسك. أفي إمكانني معرفتها؟
مالت "أورورا" على أخيها وتمتمت:

- لا أستطيع منحك معلومة محددة. إنني في الانتظار... لقد فكرت فقط في أنه قد يكون في إمكانني بيع لوحة "دافنشي". إلى من؟ هذا سوف يكون سؤالك لي. مازال سرا. إذا نطقت بأحد الأسماء قد أتعرض لجلب الحظ السيئ وكما تعلم أنني موسوسة.

هز الشاب كتفيه. وهما الآن جالسان في حجرة "أورورا".

- إذا نجحت في هذه المهمة فسيأتي ذلك بمبلغ كبير. لكن وجب أن تترك "أوربا" لفترة معينة. ولكن أين نتوجه؟ هذا ما أتساءل عنه! لم يبق لي بعد إلا "اليابان" باعتبارها بلداً آمناً هادئاً، وكذلك "كندا". كم

لاقت أعماله الأخيرة من فشل في "أمريكا" الجنوبية. ولحقت بي ضيقات عديدة في "سيدني" فمن الخيال التفكير في "أستراليا". لقد أصبح الآن هواة الفن متشككين وأنت تعلمين ذلك، فممن أن كشفت الصحافة عن حياة أحد البارونات... دون وضع في الاعتبار قضية بائع اللوحات اليوناني! إذ يكفي الآن وضع اللوحة أمامهم حتى يميزوا في الخيال إذا كانت مزيفة أو مسروقة. وبذلك يصبح أمراً مستحيلاً حقاً! هذا بالإضافة إلى - وهو ما يزيد من تعقيد الأمور - أن مكاتب شؤون الـ "A.P.P.A.P." انتشرت في العالم أجمع.

رفعت "أورورا" حاجبها علامة للاستفهام:

- الـ "A.P.P.A.P."؟ ماذا تعني؟

أجابها "فيتوريو" في إيجاز:

- إنها، "حركة حماية التراث الفني الخاص".

ثم عاد إلى صمته الغاضب والتأمل في أظافره المطلية بالمانيكير بعناية. وبعد فترة صمت دامت طويلاً استطردت أخته:

- من جانب آخر يجب أن أحيطك علماً بحالتنا المالية. لقد أرسلت لك في الفترة الأخيرة مبلغاً كبيراً. أرجوك لا تلقي إليّ هذه النظرات الشريرة! أنا لا ألومك في شيء أو أؤنبك على شيء، وأنت تعلم ذلك جيداً. لكن حشني أحصل على هذا المبلغ، اضطررت إلى بيع بعض الآثار وأشياء أخرى من بينها أشياء كانت تمتلكها "ستيغاني". والآن كيف سنواجه أسلوب الحياة الباريسية، دون أن أتخلى عن بعض الاملاك الخاصة بالأسرة وجزء من مجوهراتي؟

نهض "فيتوريو" فجأة وقد تقلص وجهه من الضيق، وقال في جفاف قبل أن يتجه نحو الباب:

- طاب مساؤك. إن أسرارك ثقيلة عليّ خاصة عندما يطول سردها.

غير أنه - بالضبط قبل أن يعبر عتبة الباب - التفت مبدئياً لها ابتسامة دلال. فما كان من "أورورا" - التي كانت ممسكة بمسند مقعدها بعصبية - إلا أنها شعرت بأنها تفيض حناناً بالنسبة له. ثم رحل

"فيتوريو" لـ "فينيسيا".

استلمت الكونتيسة بطاقة دعوة للسهرة التي يعدها "مارك" بمناسبة إنشاء مصنع الحديد. وكان قد اتصل بـ "ستيفاني" ليلة الاستقبال. شعرت هذه الأخيرة بابتهاج عندما سمعت صوته. عجزت عن الامتناع عن التفكير فيه بالرغم من الجهود التي بذلتها لكي تنساه منذ ما صارتها به "كورين". حكمت على نفسها بأنها ليست ذات قيمة بالقياس لتلك الفتيات الخبيرات في فن العمل على أن يُعجب الشبان بهن، وأن "مارك" معتمد على ما له من صفات "دون جوان". مع ذلك كانت - بينما كان يحدثها - تقرب سماعة التليفون من أذنها؛ حتى تستمتع بنبرات صوته العذبة، الدافئة والمرحة.

- أعتقد أنك استلمت دعوتي يا "ستيفاني". ستحضرين لا شك في ذلك، وبخلاف ذلك سيخيب ظني. سنحضرين لا شك في ذلك، وبخلاف ذلك سيخيب ظني. سنحضر بال تأكيد شكراً. على لطفك واهتمامك بهذا الاتصال الهاتفي.

ولم تجرؤ على القول "مارك" وكتمت الضحك من شدة تأثرها. أما هو فواصل:

- لدي اقتراح أقدمه لك. لقد كدت أطلب أحد المصورين، لكن سرعان ما تذكرت في الحال أنها مهنتك وأنتك بدأت مهنتك في "باريس". فهنا إذن أتقدم إليك بصفتي أول زبون.

وكان صوته مرحاً وكأنه أحد الأصدقاء. ارتجفت الفتاة من السعادة وغفلت في الحال عما كان لهذا الشاب من حيل كثيراً ما يلجأ إليها؛ لكي تجيب في صراحة وبساطة وهي من صفاتها.

- آه! يا "مارك" شكراً. إنك تمنحني سروراً عظيماً! سوف أعمل على إحضار كل الاتي، وسأبذل كل جهدي لإرضاء زبوني الأول. قال ضاحكاً:

- أرجو ذلك جيداً. من جانب آخر، لقد أعلمتني "كورين" أنكما استأجرتما شقتها القديمة. وأخيراً ما قد أصبح لك "أنيلييه" (محل)!

آه! "كورين"... ها هو يتكلم عنها. أمر طبيعي.

- نعم، لقد بدأت إعدادها وفي انتظار أثنائها الذي سينقل من "إيطاليا" من أجل المجرات الأخرى.

- كل الأمور تتخذ مساراً جيداً. بذلك سنتمكن من العمل كما نعلم لك وحسبما كنت تسمين. لقد تم التوفيق بطريقة رائعة في تلك الأمسية. إلى اللقاء يا "ستيفاني" إلى الغدا! الحفلة السماعة وقلبيها مثقل. نعم... إن الأمور تسير سيراً حسناً...

الفصل الخامس

لما استقبل التي يمثل هذا النجاح نادرة. إذ إن كل شيء فيها كان رائعاً. ذا ذوق رفيع ورائع.

لما أن أنارة المنزل تسحر الوافد إليه فور تخفيه عتبة المدخل الرخامي حيث يوجد السلم الذي يصعد محاطاً بدرابزين من الحديد المشغول بالزخارف. وفي رفيع؛ لكي يصل إلى بسطة أخيرة مزودة بسلال مليئة بالفاكهة، وتفتح عليها أبواب الصالون الكبير. وكم كان استقبال "مارك" على الكل من يصل أعلى درجات السلم.

كانوا قد دفعوا بالآثاث بخوار الحائط المغطى بورق حائط ذي لون يظهر لون خشب الآثاث الداكن. كما كانت الستائر من نفس اللون. والمائدة المستطيلة ذات القوائم المنحوتة بفن تقوم بدور البوفيه، إذ كانت محملة بكل أنواع الحلوى وزجاجات الشراب مع مكعبات الثلج، وعلى الحائط - خلف المائدة - كان الديباج الرائع يجذب الأنظار. وكانت المساعدة - وهي من عهد "لويس الثالث عشر"، مصفوفة أمام النوافذ العريضة المطلّة على الحديقة. وما كان يزيد من سحر هذا المكان، فهي الموسيقى الهادئة التي تملأ الأرجاء.

لما وجدها بالقرب منه .

عندما كانت "ستيفاني" قد قدمت في بداية السهرة، ومعها معداتها الخاصة بالتصوير، أسرع "مارك" - وكان يرتدي بدلة "سموكينج" من أشهر ملابس أزياء الرجال - إلى لقائها وهو يهبط السلالم أربعاً بأربع، وكان لهدية صوته المرححة الصادقة وهو يرحب بها أثراً قوياً فيها .

وكذلك - عندما أطل الاحتفاظ بيدها في يده قبل معاونتها على التخلص من حقيبتها - خفق قلبها . لكن قريباً ستصل "كورين"، وكذلك "أورورا" وهي أيضاً دائماً متأخرة .

فجأة عمل صوت عالٍ إلى حد ما على قطع ما كانت عليه الفتاة من حالة أحلام اليقظة :

- رائع! حقاً إنه رائع! .. أين صاحب الدار؟ لكي أهنئه على ذوقه الرفيع، وأن أخبره أيضاً بأنني أحسده على امتلاكه لمثل هذا المسكن . أه لا داعي للصورة يا "ستيفاني" أرجوك . لا تلتقطي لي صورة، أرجوك!

وكانت الكونتيسة، ثم توقفت لحظة؛ لكي تتخذ وضعاً أكثر وضوحاً لها . تمتنع ابنة زوجها من الاستجابة إلى طلبها . . . وهو مع ذلك ما كانت تمنعه . تقدم "مارك" وانحنى على اليد التي تقدمها له .

أسير - لفت نظري "ليديا" - بضربة كوع خفية - إلى الكونتيسة التي كان قد حدثها عنها، والتي تتقدم حالياً نحوهما في فستان ضيق من الستان الأحمر الغامق . وبدأت ثلثتها المعتادة . . .

ابتعدت "ستيفاني"، استندت إلى الدرابزين، وأخذت تراقب الأشخاص الذين مازالوا يتوافدون على الحفل وإن كانوا قليلين . . .

لكن "كورين" لم تظهر بعد . عندما رأى "مارك" "ستيفاني" بمفردها أقبل إليها ولمس ذراعها بيده، في حركة خجول وهذا بالاستناد إلى الدرابزين بجوارها .

- هل أعجبك منزلي يا "ستيفاني"؟

- نعم . . . إنه منسجم معك .

وها هو بريق "الفلاش" الخاطف يضئ عتبة الصالون للحظة . إنها "ستيفاني" التي التقطت صورة لـ "جيلبير" وزوجته عند وصولهما . التفت "مارك" في الحال وتقدم نحو أصدقائه . حينئذ صاح "جيلبير" متجهاً نحو الفتاة التي تعمل على كنفها آلة التصوير الإلكترونية :- طاب مساؤك يا صاحبي . هانت عثرت على مصورة رائعة!

أردف "مارك" :

- نعم! كما أنها مخلصنة ونشيطة، لم تتوقف طوال ساعة .

ليتك تاتين الآن يا "ستيفاني" لتناول مشروب .

ثم أمسك "مارك" بذراعها وقادها نحو البوفيه، وتبعهما "جيلبير" و"ليديا" تناولت "ستيفاني" كأسها على جرعات صغيرة وهي تتطلع إلى الجموع المتلاحقة إلى الصالون المضاء بالشرابات الهولندية الضخمة، والتي كان ضوءها يفرق أيضاً اللوحات وقماش الفرش .

ثلاثة "جارسونات" كانوا يمرّون حاملين صواتي عليها الأكواب واللحوم المختلفة والـ "بيني فور" . عندما لحت "ستيفاني" قريباً بدا لها شائقة، تركت المائدة؛ لكي تلتقط صورة، وكان "مارك" يلاحقها بنظراته معجباً بدقة حركاتها وقوامها النحيل، الذي كانت تقوله "سالوبيت" من الحرير باللون الفيروزي . كانت الفتاة قد فضلت هذا الهندام؛ حتى لا تشعر بالضيق عند ارتدائها فستاناً للسهرة؛ لأنه - فعلاً - عملي . وما كان يجعله قيماً جودة القماش .

عندما لمح اهتمام صديقه المتزايد بهذه الفتاة، سأله مازحاً :

- أين إذن صديقنا "كورين"؟

- متأخرة! إنك تعلم جيداً أنها لا تميل إلى مشاهدة أول فصل في المسرحية، وأنها تصل دائماً في منتصف الفيلم إذا ذهبت إلى السينما وأنها - عندما تحضر حفلة ما - تظهر في اللحظة التي تطفأ فيها الأنوار . . . هكذا أجابه "مارك" ضاحكاً .

عندما عادت "ستيفاني" نحوهما، سمعت رد الشاب وأدركت حينئذ أنها غفلت تماماً عن هذه السيدة من فرط إحساسها بالسعادة

- إني سعيد لسماحك تخبريني بذلك. في الواقع، إنه المكان الوحيد الذي أشعر فيه بالارتياح. ومن البديهي - يوجد هنا مصنعي - لكن الوضع يختلف. هل ترغبين في زيارة مكتبي؟ إنه يعتبر معبدي! لأن فيه أتواجد وأقضي سهرتي بمفردي، كما أنني وضعت فيه شيئاً ثميناً جداً يخصني.

هكذا قال بنيرة عجيبة.

ولما في الدهليز حتى وصلا إلى باب يقع في النهاية، فتحة وتراجع لكي يدعها تمر. قد تكون الغرفة بسيطة ذات أثاث منقش، لكنها كانت تحتوي على جو من التآلف يمنحها دفئاً غير متوقع. وبها نافذة ذات ستائر مغلقة حالياً، لكن لا شك في أنها تطل على الحدائق. وأثنان من جدرانها كانا مخفيين خلف الأرفف المحملة بالكتب والبيبلديات. ومن ضمن الأثاث كانت أريكة تبدو وكأنها تدعو إلى البطالة أو أراشد المولعين بالموسيقى إلى الراحة للاستماع إلى إحدى السيمفونيات.

أضاء "مارك" النور، ثم أردف وهو يقترب من لوحة لكي يضيء المصباح الموضوع أسفلها:

- انظري.

حينئذ صاحبت "ستيفاني":

- آه. إحدى لوحات "فيليب دي شامبسييه".

وقفت صامتة لحظة من شدة إعجابها بها. ثم أعدت آلة التصوير.

سألته.

- أفي إمكانني...؟

- بالتأكيد.

- صورة رائعة. لابد أن امتلاكك لها يمنحك سروراً بالغاً.

- لقد ورثتها عن جدي. لكن ليس لك الحق في أن تحسديني عليها.

لقد علمت أن إحدى لوحات "ليونارد دافنشي" تعتبر فخر اللوحات في منزلكم في "فينيسيا".

- إنها ملك زوجة أبي. في إمكانك أن تشاهدها. لقد عملت

"أورورا" على إحضارها إلى "باريس" مع الأثاث.

وأثناء ما كانت تتكلم، التقطت العديد من الصور لبعض اللوحات التي ترجع إلى القرن السابع عشر. وهكذا واصلت التصوير إلى أن انتهت من تصوير كل اللوحات الموجودة بالحجرة. وكان "مارك" ينظر إليها - وهي تصور - جالسا أمام مكتبه.

فيما قالت بصوت منخفض:

- لا تتحرك. إنك تبدو شخصية ذات أهمية بحيث لا ينبغي أن أهمل القيام بالتقاط صورة لك...

ولما انتهت من إصدار أوامر المصور: "بروفيل أيم، بروفيل أيسر، وجه مائل قليلاً إلى الأمام. ابتسم!

- شكراً! سيدي المدير العام! هكذا ختمت في مرج.

بعض وهو يضحك، ولما لمح أنها أوقعت الحقيبة المحتوية على بكرات الأفلام، أسرع بجمعها؛ لأنها كانت تتدحرج على الموكيت.

كلاهما جامداً عندما تواجدا الواحد بالآخر، يكادان يلتصقان ببعضهما. وكان لنظرات "مارك" بريق جعل قلب "ستيفاني"

يخفق بشدة.

حينئذ سمع صوت يقول بنيرة ساخرة:

"أزعجكم؟"

هاتت أخيراً! اعتقدت أن السهرة سوف تنتهي بدونك! لكن لماذا أزعجيناها "كورين"؟

هكذا أردف ملتفتاً نحو السيدة الواقفة في مدخل الباب، ذات الشعر الأحمر، الذي كان يبدو وكأنه يضيء على لون الفرش الأخضر الداكن.

- إن كل هذه الألوان الخضراء تبرز شعرك بطريقة رائعة! كم أنت جميلة هذا المساء.

هكذا أضاف مبدياً لها إحدى ابتساماته الساحرة.

وكانت "كورين" في الواقع ترتدي - لهذه المناسبة - فستاناً من الحرير الأخضر، ذا ياقة عريضة مقلوبة وبلا أكمام، ومفتوحاً من الجانب

فتحة مرتفعة. أخذت "ستيفاني" تجمع معداتها بحركات بطيئة، خشية إظهار نظرة قد تكون معتمة. وكعادتها تمت له "كورين" أمسية طيبة مصحوبة بابتناسمة مشرقة، وكان وجود الفتاة يغمرها بالبهجة. وواصلت:

- "مارك" يا عزيزي أخيرك بأن الرقص بدأ يحل مكان الموسيقى التي كانت تشجي المدعويين منذ بداية السهرة. لقد بدأ الأزواج يتكوتون. هل ستصحبنا للرقص، "ستيفاني" وأنا؟

- بالتأكيد.
هكذا أجابها ممسكا بذراع كل منهما؛ لكي يقودهما إلى الصالون. فكرت "ستيفاني" مرة أخرى في أنها أفرطت في الحيال. ما الذي ظنت أنها رآته في العينين الخضراوين حتى تتأثر إلى هذا الحد؟ ليس سوى سراب" هكذا حدثت نفسها.
أردف "جيلبير" عندما رآهم يصلون:

- إننا سننصرف يا "مارك". أخبرني.. أفي إمكانك المجيء معي إلى قاعة المبيعات؟ إنه يوم الأسلحة. الأثاث والمجوهرات عن ورثة "فان ديرز".

وعندما رأى أن "مارك" يفكر، ألح:
- أعلم أن مصنعك يشغلك دائما، لكن مرة واحدة، هذا يرضيني! - كان بها، مر لاخذي.

- شكراً. من جانب آخر - يا "ستيفاني" - سوف نسعد "ليديا" وأنا - باستقبالكما في نهاية الأسبوع في منزلنا الريفي. ستعجبون بالمنظر الريفي الرائع وإني لواثق بذلك، وكذلك بالمرزعة التي أنشأناها. سنقوم بركوب الحيل، ولا تنسي أدواتك خاصة!!

- هانت لاحظت أن دعوته هادفة. فهو يحلم بالحصول على صور لأملاكه الجديدة - هكذا ختمت "ليديا" مبتسمة - إننا معتمدون عليك. الملابس اللازمة لذلك: "جينز"، "بلوفر" و"بوت".
قبلت الفتاة هذه الدعوة المفاجئة بلا تكلف.

- سوف نمر لاصطحابكما في الساعة الثانية بالضبط إلى "جورج الخامس". مفهوم. إنك يا "كورين" من المقررين إلينا. أنا لا أتحدث عن "مارك"، لأنه يعتبر من الأسرة! أنهوا سهرتكم على ما يرام... ثم كررت "ليديا" قبل أن تتوجه إلى السلم:

إلى اللقاء.
وقفت "ستيفاني" ترنو إلى هذا الثنائي الظريف وهو ينصرف. وعندما التفتت كان "مارك" و"كورين" يرقصان.

تعرفت على الأستاذ "ديرييه" الشامي الذي وجدته منحنيًا أمامها والذي لم ينتظر منها إجابة بل قادها إلى رقصة "روك". ورقصت أيضا عدة مرات مع "مارك" الذي كان - بصفته رب البيت - يرقص مع كل السيدات المتواجديات بالحفل. وفي هذه الأثناء كانوا قد فنفخوا صالونا ملحقًا بالقاعة، لاستقبال هواة "البريدج". كانت هناك "أورورا" في انتظار ابنة زوجها التي لحقت بها بعد الانتهاء من الرقصة الأخيرة مع الأستاذ "ديرييه".

ثم انصرفنا بعد تقديم الشكر إلى "مارك" على دعوته المحبة. أردفت الكونتيسة وهي تطلق كعادتها ضحكيتها الحنجرية المرححة:
- انعشم أن أراكما قريبا في شقتنا. إن شقتنا لا ينقصها إلا الأثاث والأثاث والستائر!!

كانت "ستيفاني" تتمنى أن يبدى "مارك" رغبته في مشاهدتها قبل نهاية الأسبوع عند آل "جالان" لكنه قال لها في بساطة:
- شكراً لحضورك. طاب مساءك. إلى اللقاء عند "جيلبير" يوم السبت. اليس كذلك؟

أني أحد الخدم حيث أطفأ الأنوار الرئيسية وانصرف.
تواجد "كورين" و"مارك" بمفردهما في الصالون الصغير.
- سيظهر النهار بعد قليل يا عزيزي. أنصرف أم أمكت هنا؟
هكذا سألته وهي تحوط عنقه بذراعها وتمد له شفتيها...
لكنه لم يجذبها إليه. بل بالعكس، رفع يديه بهدف إبعاد ذراعيها عن

عنفه . تراجعت بسرعة نحو الباب .

— لقد كنت دائماً لاعبة جيدة، ومن ميدني ألا أتعلق أبداً . أتذكر أن نابليون قال: "إن أجمل نصر في الحب هو الهرب منه" . ستكون لي ذكرى ممتعة يا "مارك" ويجب أن أحتفظ بها للمستقبل الذي لا نعلم ما هو! سأحتفظ لك دائماً بصدقتي، وأتمنى أن تبادلني نفس الشعور؟

— بالتأكيد يا "كورين" المصدرة! إنني عاجز عن التعبير عما يدور بداخلي . ولست قادراً على تأكيد أنني أكن لك مودة صادقة، لكن... ثم توقف عن الكلام، حائراً، عاجزاً عن التعبير عما يحيش به صدره من مشاعر تتزاحم بداخله . بدأت تنزل السلالم . واستطردت بنبرة عملت على جعلها عادية برغم أن قلبها مثقل:

— ساتصل بـ"ليديا" هاتفياً؛ لكي أرفض دعوتها اللطيفة . لقد فقدت ذاكرتي، لا شك في أنني أصبحت مفرطة في التدخين! لأنني تذكرت حالياً أنه ينبغي أن أسافر إلى "ليون" في فترة نهاية الأسبوع مع المثلث وهو أحد أصدقائي . هناك العديد من المبيعات الشائقة وأرغب في شراء بعض منها لحلي .

عندما تأهبت مسؤولة حجرة إيداع الملابس، أمسك "مارك" بمعطفها "الفراء الأبيض"، وعندما عمل على معاونتها على ارتدائه، رآته في المرأة الموجودة أمامهما . "إنه حقاً جميل جداً وجذاب أيضاً" — هكذا فكرت في اكتساب — "إن قاعته مليئة بالقلوب التي حطمها، وأرجو ألا يتحطم قلبه هو أيضاً ذات يوم" .

رافقها إلى سيارتها متمنياً لها عودة طيبة، طابعاً قبلة خاطفة على شفيتها . وبعد أن شاهد أنوار الـ"أوستان" التي كانت تبتعد في الفجر الذي بدأ يلوح، عاد إلى مكتبه . شاهد تحت أحد الأثاثات، بكرة أفلام نسيته "ستيفاني" . تناولها ووقف يتأملها طويلاً . ربما كان يتوقع العثور على حل لعلمة الاستفهام الهائلة المائلة أمامه .

— تسعة آلاف عن يميني، تسعة آلاف وخمسة أمامي... في الصف الثاني عشرة آلاف عن يميني... عشرة آلاف وخمسة عن يميني... واحد، اثنان، ثلاثة سأحكم بالتسليك .

وفرغ المثلث بمطرقة ثم مال نحو المعاون الجالس بجواره .

صاح هذا الأخير:

— لقد تم الحكم!

ثم دون المعاون ثمن المزداد في السجل .

كانت معروضات "قان ديزيه"، المعلن عنها منذ أسبوعين، قد جذبت — لاهميتها — ليس فقط هواة الأشياء القديمة الفرنسية، إنما الأجانب منهم أيضاً . كانت العشرة الصغرى مُشغولة . وآخرون وقوف . الأثاث قد تم بيعه بأسعار خيالية . حقاً لقد كان فريداً من نوعه . وبعض الأثاث التي من الصين تم التساومة عليها إلى أكثر من خمسة آلاف، لم الإعلان عنها بإشارة يد .

وهذا المعاون يعلن من مكتبه الموضوع أسفل المنصة:

— رقم واحد وعشرين! زوج من المسدسات يرجع تاريخهما إلى عام ١٨٠٠، وسبعمائه وستين قُدر بستة آلاف فرنك!

لمعت عين "جيلبير جالان" من الرغبة واضطرب على مقعده .

كان هذان الصديقان قد وصلا إلى هذا العرض مبكراً؛ لكي يجدا لهما أماكن في الصفوف الأولى .

ثم بعد أن طال انتظارهما، ها هو الممثل الكوميدي يرى زوج المسدسات — الذي طالما تمناه — يُقدم للجمهور .

ارتفع المزاد بسرعة، وقام هو بالنتطق بالرقم بصوت عالٍ .

وإذا بـ"مارك" يلمس ذراعه وهو يهمس:

— توقف يا غبي سوف تتجاوز السعر!

لكن "جيلبير" لم يستمع إليه . وفي النهاية مكث بمفرده مع آخر

مزاد.

لقد بلغ هذان المسدسان - نسبة لندرتهما - مبلغاً مرتفعاً جداً. واحد، اثنان... من يدفع؟... ثلاثة. سأصدر حكماً!

وسمع صوت المطرقة.

أقبل بعد ذلك أحد الموظفين ومد له يده برقم ما اشتراه.

فمنحه هذا الأخير شيئاً.

ومازال البيع مستمراً.

تمتم "مارك":

- الآن وقد حصلت على اللعيبين، ماذا نعمل الآن؟ لا أخفي عنك أنني في أمس الحاجة إلى إشعال سيجارة!

إثر ذلك نهض الرجلان، واتجها نحو الدهليز المؤدي إلى باب قصر "أورساي"، لكن "جيلبير" لم يكف عن التطلع إلى القاعات حيث يُسمع صوت اللثمن. وكانت بعض القاعات مخصصة لعرض الأشياء المخصصة للبيع في اليوم التالي. فاده "مارك" معترضاً:

- أنت من يضرب بك المثل في السيطرة على النفس، أليس قادراً على التحكم في نفسك أكثر من ذلك! ألم تلاحظ أن المتخصصين في الأسلحة القديمة كانوا يعملون على رفع الأسعار؟

ومع ذلك أنت تعلم أن التجار يتمسكون بالأولوية، ولا يضايقهم شيء، بقدر ما يرون الأفراد يشترون السلع النادرة! إنهم يريدونها لهم. كنت ستدفع فيهما في أحد المحلات أقل من هذا المبلغ إن لم تكن قد تسرعت في رفع المبلغ إلى هذا الحد!

والم تشعر بأنهم كانوا لا يرغبون في دخولك في المساومة؟
هز "جيلبير" كتفيه:

- أعلم يا صاحبي، لكنني كنت على يقين بقسمة هذه الأسلحة، وكنت أتمناها بأي ثمن وفي الحال.

- عن نفسي، فإني أفضّل البائع مع من أستطيع أن أساوم. فهو يمنحني معلومات، وبذلك أتعلم دائماً ما كنت أجهله. وكثيراً ما نتولد

هنا صلة صداقة و - على الأقل - تكون لي فرصة للتفكير.

لكن...

فأطاعه "جلان":

- انظر من الذي يصل مع "باردو".

افتربت منهما الكونتيسة "ماركتيني" ووجهها مشرق بالابتسام.

- يا لسروري بلقاءكما يا سادة! لقد أسرعت بالهجيء إلى هنا، لأنني أعشق جو الصالات، بالرغم من أنني مشغولة، لأننا ننقل أثاثنا في منزل الألسة "ميركاديه" المؤقت. وفي نهاية الأسبوع القادم ستكون اللوحات والسائير قد وصلت وورق الحائط قد تم وضعه. أنا معتمدة عليكمما لحمل دخول المسكن الجديد. سوف يشرفنا قنصل "إيطاليا"؛ لأنه كان أحد أصدقاء زوجي. لقد عُيِّن في "باريس" لذلك جددنا علاقتهما الجديدة به. أعتقد أنكما سوف تقضيان إجازة نهاية الأسبوع مع "ديفاني" عند أملاك أحدكما لست أدري من منكما؟

أمام هذا السيل من الكلمات، والعجز عن النطق بكلمة واحدة، ما كان من كل من "مارك" و"جيلبير" - بطريقة آلية - إلا أن ابتهما في مودة. وأخيراً، بعد أن طمانا الكونتيسة بأنهما سعيان مسبقاً للذهاب عندها يوم اسفل، اتجها نحو سيارة الممثل الكوميدي:

هل أنت بمفردك هذا المساء يا "مارك"؟

نعم.

- أوصلك إلى منزلك، ثم تأتي عندنا لقضاء السهرة؟

- لا، شكراً، أفضل العودة. أمامي عمل كثير؛ لأن المهندس المدني أحضر لي هذا الصباح رسم المصنع الجديد، وأعترم دراسته. ثم إن "أنا" أعدت لي إحدى وجباتها الشهية التي تحتفظ وحدها بسرهما...

انطلق "جيلبير" بسيارته على طريق الد'سين" وهو مستمر في تبادل أحاديث مختلفة مع صديقه.

- إنها لطيفة هذه الد'أنا. هل تعمل عندك منذ زمن بعيد؟

- آه... نعم! كنت في الثانية عشرة من عمري، عندما دخلت أسرنا

بصفة وصيفة. حصلت على تقدير والدتي وأصبحت مكلفة بإدارة كل شيء. تزوجت من "بيري" رئيس الخدم وعندما عاد والدي للإقامة في أملاكهما في الشمال - حيث مازال والذي يهتم بمصانع النسيج - مكثا "بيري" و "أنا" معي. وهما متكفلان بسداد كل احتياجاتي.
سأله "جيلبير" ضاحكاً:

- وهي تدللوك؟ ليس لها أبناء؟
- لا.

- لا شك في أنها راضية عن بقائك أعزب.
أجابته "مارك":
- من البديهي.

ها هما الآن في غابات "بولونيا".
بعد فترة صمت استطرد "جيلبير":

- لقد تلقت "ليديا" مكلمة تليفونية من "كورين". لقد اعتذرت عن عدم الحضور نهاية الأسبوع. يبدو أنها على موعد في "ليون".
يبدو أن "مارك" لم يسمع. كان ينظر إلى الأشجار وسط الضباب دون أن يراها، إذ كان شارد، غارقاً في أفكاره. وعندما أصبح الغسق لا يلقى إلا بالقليل من أشعته، أتى المساء. أوقف الممثل الكوميدي سيارته أمام بوابة الفندق الخاص بصديقه.

ولما كان هذا الأخير جامداً، لا يتحرك، التفت نحوه، رافعاً حاجبيه وقد دُهِش. وبدلاً من أن يترك "مارك" مقعده أشعل سيجارة على غير عجل، ثم أخيراً قرر أن يتكلم:

- سأوضح لك يا "جيلبير". لقد انتهت الصلة بيني وبين "كورين".
- كنت أشك في ذلك. أخبرني، أليس في طريقك إلى الوقوع مصادفة في حب الإيطالية الصغيرة؟

- أحب؟ أنا؟ لست أدري. لقد سبق أن أخبرتك بأنها تجذبني من حيث جمالها. إنها جميلة جداً.
أفحمه صديقه ضاحكاً:

على الأقل هذا يعتبر تأكيداً!

أرجوك... لا تبدأ في المزاح. أحب صحبتها أيضاً... كيف أعبر لك... رفنها، شخصيتها الجذابة، وهانذا أشعر وكأنني خجلت!

قال "جيلبير" نفسه عن الضحك وأجاب بنبرة ساخرة بعض الشيء:
- هل أصبح "دون جوان" السلط، جلاًد القلوب في طريقه إلى الرومانسية، مع إرسال زهور، أشعار، وتبادل خصلات الشعر؟

- لا تضف بعد ذلك شيئاً، هيا أنا لم أصل إلى هذا الحد! طاب مسالك، يا صاحبي. لا تزعج نفسك غداً بالذهاب لإحضارها، ساذب أنا.

وقد أثارته لهجة صديقه الساخرة، خرج من السيارة وأغلق الباب بشدة وتركه بلا مزيد من الكلام.

كانت "ستيفاني" متمسكة بتسليم "مارك" - بأسرع ما يمكن- الصور التي كان قد طالبها بأخذها عنده؛ لذلك كانت راضية لأنها ألتفت قبل الذهاب إلى مزرعة "جيلبير" و "ليديا".

بما أن هذه العطلة، عطلة نهاية الأسبوع، بعد أن أعدت حقيبتها - كانت في مشاهدتها مرة أخرى قبل أن تدخل إلى مخدعها.

لمت على فردا على سريرها، وفي اللحظة التي كانت تنأب فيها أوطعها بالترتيب بنسبة أفضليتها حسب حكمها المهني، قرعت "أورورا" باب حجرتها ودخلت قبل انتظار ردها.

- كنت يا عزيزتي أرغب في الأخذ برأيك من أجل ستائر الصالون.
أه، هل هذه صور السهرة؟ أفي إمكناتي مشاهدتها؟
- بالتأكيد!

لقد حصدتها الكونتيسة الواحدة تلو الأخرى باهتمام بالغ كمن ترغب في تسجيل أدق التفاصيل: المنزل، الأعمال الفنية والمدعوين. لم تغفل عن أي شيء منها. وفي النهاية، ألقت باللغة على السريبر وقالت:

- صورك هذه يا "ستيفاني" العزيزة تبدو لي رائعة. سوف تسر فارسك! لقد لاحظت في تلك اللمسية أنكما متفقان إلى حد ما... اليس كذلك؟

- عن نفسي، فأني أشعر بالارتياح في صحبته يا "أورورا". وبالنسبة له، أتمنى أن يكون هو أيضاً في نفس الوضع...

ثم صمتت لحظة. ومع أنها من المعتاد - كنوم - إلا أنها كانت سعيدة لأنها تمنع عن الإفصاح بأسرارها.

- كان ينبغي أن أسافر غداً مع آل "جالان"، لكن هو الذي سيأتي لاصطحابي. هو بمفرده، "كورين" لن تأتي.

ولم تعلق "أورورا" على ذلك وإن كانت سرّت لهذا الخبر. واكتفت بأن تسمي "ستيفاني" ليلة طيبة وعطلة نهاية أسبوع سعيدة، قبل أن تنسحب. وما يدعو للعجب، أنها نمت تماماً ستائر الصالون...

أما "ستيفاني"، فلم تكف عن التفكير في "مارك" منذ تلك المسهرة التي قضتها عند "مارك". وتماًماً كما حدث قبل حفل الافتتاح، كانت قد حللت أبسط التفاصيل القادرة على منحها الأمل بأنها ليست ميالية بهذا الشاب. عندما وصل "مارك" أسرع نحوها في حماس حتى إن قلبها خفق بشدة.. غير أنه مع دخول "كورين" قد تلاشى عندها الإحساس بالصدقة التي اعتقدت أنها قد نشأت بينهما أثناء أخذ الصور. مرة أخرى عملت على منع خيالها من التجول. لكن - عندما اتصل بها "مارك" هاتفياً لكي يعرض عليها أن يأتي لأخذها، متغافلاً عن كل نواياها الطيبة، عادت إلى الانغماس في حلمها الوردية.

وبوم أن كان "مارك" مستعداً لأخذها، استعدت قبل الموعد بساعة، وجلست على أحد المقاعد الوثيرة ذات المساند في صالون "جورج الخامس". حقيبة السفر وحقيبة الآلة تحت قدميها. أما الصور الثمينة الموضوعة في حافظة من الجلد، فقد وضعتها على ركبتيها.

وعندما ظهر "مارك" وجدته جميلاً. كان يرتدي - في بساطة - جينز

و"بلوفر" أبيض فكان يبدو أنيقاً جذاباً.

عندما رآها في المقعد الكبير ووجدتها ضئيلة وهي ترفع وجهها الدقيق نحوه، أبدى ابتسامة أضواء وجهه ومنحته مزيداً من الشباب، أما هي فنهضت في الحال وهي تلوح بالحافظة.

- "مارك"، الصور معي!

- يراؤو يا "ستيفاني"، أريد أن أراها في الحال. هيا بنا إلى المشرب لنناول القهوة، فالوقت متاح لإلقاء نظرة سريعة عليها. وفيما بعد سأختار في هدوء الصور التي سوف أطلبك بالقيام بنسخ كمية منها لتوزيعها على المدعوين.

مال كلاهما الكتف ملتصقة بالكتف ورأسهما يكادان يتلامسان، وفقاً يفحصان ألوان الصور.

- حسناً جداً - هكذا أردف "مارك" - "جالان" رائع في هذه الصورة. وهنا المجموعة ممتازة. آه! ومن هذه يجب طبع العديد. بالنسبة لـ "كورين" إنها طيبة جداً. آه! يا مكتبي: ممتاز...

وعندما ذكر السيدة، نظرت إليه "ستيفاني". واستمر في الفحص بسرعة. كانت صورة ابنة الدكتور الجراح قد اختفت تحت الأخريات: لم يول "مارك" النظر إليها. لما شعر بأنها تنفخ فيه، حول رأسه نحوها فالتفت نظراتهما. وإذا بموجة حنان نحو هذه الفتاة التي تبدو وكأنها تنتظر صدور الحكم عليها، جعلته يفكر في أنها تلميذة ممتازة أمام الأستاذ الذي يمتحنها. وضع يده لحظة على يدها - في حركة جعلها مطمئنة - ثم جمع الصور المنثرة على المائدة وناولها إياها.

- إنك موهوبة في هذه المهنة. هيا بنا، أمامنا مائة كيلومتر يجب أن نقطعها. ولقد حان الوقت للانصراف. لقد اتفقت فكرة سوف أوافيك بها في الطريق...

تبعته في صمت. وكانت تشعر بالارتياح.

أخذ الضباب يتبدد، وها هي شمس الخريف ترتفع الآن في السماء، نبتى بأنه يوم مشرق.. قال "مارك":

- يلزمني مصور ممتاز؛ لاني محتاج إلى إعداد كتاب أو شبه ذلك في حجم الكتالوج يحتوي على صور مصنعي، وهانا أوصيك به.
كادت الفتاة ترفخ من السرور، ولم تتمكن إلا من النطق:
- شكراً يا "مارك".

- إني زبون ملح، وأريد هذا العمل بأسرع ما يمكن. كم من الوقت يلزمك لإتمامه؟

- إذا شئت في وسعي البدء في العمل منذ يوم الاثنين. وأنت تعلم أنه ليس لدي زبائن كثيرون حتى الآن! مازلت بعيدة عن زحمة العمل! هكذا أضافت وهي تضحك مرحة.

- ستحصلين عليهم. سأعمل من جانبي على إيجادهم. على سبيل المثال "جيلبير". أعلم أنه سوف يرغب في إعداد صور لمشروعه من أجل إعلانات الدعاية. بالرغم من أنه لا يميل إلى كشف حياته الخاصة، إلا أنه يضطر أحياناً إلى القيام بالكشف عنها للجمهور. وكذلك زبون أو اثنان ذوا شهرة؛ وبذلك تتقدمين في العمل وفي الشهرة أيضاً. صدقيني!
- يجب أن أهتم أولاً بالأوراق الرسمية من أجل إقامتي في "باريس" ومهما كان قول "أورورا" لن أتبعها بعد الآن! مع كل بعد قليل سابلع من العمر واحداً وعشرين عاماً أي سن الرشد، وبذلك يكون لي حق التصرف في الأموال الخاصة بي، التي تساعدني على تنمية مشروعي؛ وبذلك أعمل في هدوء.

- حسناً.. "ستيفاني" أ كم أحب الاستماع إليك وأنت تتكلمين هكذا. إنك تتمتعين بشخصية قوية وليس فقط بجمال رائع.
عندما وصلا إلى منزل الممثل الكوميدي، كانت الشمس قد غربت في السماء. فتح لهما "جيلبير" الباب وبصحبه كلبه الذي احتفل بقدوم "مارك" بنباحه.

- لقد تأخرتما. أرجو ألا يكون قد حدث ما يزعجكما في الطريق؟

- لا. غاية ما في الأمر، لقد تمسكت بمشاهدة الصور الفوتوغرافية قبل الرحيل - هكذا وضع "مارك" - ومع ذلك يجب أن أحدثك عنها

أربما بعد.

دخلوا كلهم إلى المزرعة. وكانت "ستيفاني" قد التزمت الصمت منذ أول خطوة دخلت بها في المنزل؛ من شدة دهشتها.

الحرفة واسعة تعتبر صالوناً تمتد لتصل إلى حمام سباحة تضئته فتحة زجاجية تطل على الحديقة. منظر رائع أخاذ، والمدعوان الآخرين كانوا يقومون ببعض الحركات في الماء. ثم وصلت "ليديا" - ميتسمة كعادتها - ربة بيت حارة في استقبالها.

قالت لـ "ستيفاني":

- إنها فكرة "جيلبير". لم نشأ أن يتواجد حمام السباحة في مكان معزول. لذلك لدي العديد من ملابس البحر تحت تصرف أصدقائي وهم لا يتوقعون وجود حمام سباحة بالقرب من المشرب وحجرة المعيشة!

مر اليوم بسرعة مذهلة، قام خلاله الزوار بالاستمتاع بالسباحة، والقيام ببعض الجولات على ظهر الخيول، وفي المساء في لعب الـ "بريدج".
وحينئذ قامت "ستيفاني" بالعمل من أجل "جالان" زبونها الثاني.
وفي اليوم التالي، بدأ النهار مشرقاً أيضاً. شعرت "ستيفاني" بسعادة لغمرها. كان "مارك" يحيطها برعايته، ومضيفاهما كانا يستمتعان بفن الاستقبال. ولذلك كان الجميع في حالة رضا وسعادة.

ارتدت الفتاة لباس بحر صغيراً، وتأهبت للنزول إلى الحمام حيث سيقها إليه "مارك". وقعت "ليديا" بلا حركة للحظة - لأنها دخلت في نفس الوقت - إذ إنها أخذت بما لـ "ستيفاني" من انسجام وجمال في قوامها. خرج "جيلبير" من الحمام وتناول البيرنس الخاص به واقترب منها. أخذ يتابع نظرتها.

قال لزوجته:

- لقد لاحظت بالأمس جمال قوام هذه الفتاة الجميلة. لكن لساننا وحدها من نعجب بها. انظري إلى عيني صديقنا وهو في الماء...
قامت "ستيفاني" بغطس رائع بالقرب من "مارك". ولما كان لا يزال

مشتباً نظراته عليها وربما أن فكّيه كانا متقلصين، لم يجد ما يقوله لها. وإذا ارتبكت من نظراته التي تلاحقها، خرجت من الحمام والتفت في "بشكير".

وفي فترة بعد الظهر، اقترح "مارك" القيام بنزهة على ظهر الحصان ولم يكن من يؤيده سوى "ستيفاني".
قال "جيلبير" مقدماً نصيحته:

— اذهبا إلى البركة. هناك الجمال كله!

انصرفا في هذا الاتجاه. وكان لابد لهما للوصول إلى هذا المكان من اختراق غابة. كانت "ستيفاني" تجيد الفروسية. وكان هناك سكّون، لا يُسمع فيه سوى صوت حوافر الخيول. ثم بعد فترة، اضطرا إلى تخفيف السرعة بسبب وجود منحني. وعندما وصلا إلى البركة، قاد "مارك" دابته.. إلى جانب حصان الفتاة المصورة.

— إنك فارسة ممتازة! يُخيل لي أنك تحبين ركوب الخيل؟

— آه.. نعم! كنت مفتخرة إلى ذلك في "فينيسيا". لكن كثيراً ما كنت أمارس هذه الرياضة عند صديقتي "نيكول" في "سويسرا".
وفي مدخل الغابة، نزلا وربطوا الجوادين في غصن شجرة.

رفعت الفتاة خوذتها وعلقتها على أحد الأغصان، ثم هزت شعرها الذي تناثر على كتفيها. ثم بخطى بطيئة تقدمت نحو البركة، وكانت لامعة مثل الفضة تحت أشعة الشمس الأخيرة. كانت رائحة الخريف تصعد من الأرض الرطبة. ولم يكن ما يقطع السكّون الشامل سوى صوت الدجاج المائي الذي فرع عندما اقتربا منه. لحق بها "مارك" ووقف صامتاً من خلفها.

كانت تعلم أنه سوف يحيطها بذراعيه. فحُفّق قلبها بشدة.

انتظرت دون أن تتحرك. أغلقت عينيها لحظة. حولها إليه ثم أمسك بوجهها بين يديه، عمق النظر في عينيها وهو يتمتم:

— آه يا "ستيفاني"، ودیعة وجسيلة يا "ستيفاني"! لقد جذبتني منذ أول لقاء، لكنك الآن تسحريني.

مال بعد ذلك على قمها الذي قدمته له وهي ترتجف. كانت في البدء قهالة رفيقة، لكن عندما شعر بأنها استسلمت له، قبلها بأكثر حرارة.

وكان الليل قد أقبل عندما عادا إلى المنزل. كان "جيلبير" في هذه اللحظة يقوم بالمائة خطوة أمام المدخل في صحبة السائس.
صاح لهما:

— ما الذي تقومون به؟ لقد قلقنا. وها هو المساء قد أقبل والطقس أصبح بارداً. كما أن وقت العشاء قد حان إذا كنتمما ترغبان في العودة إلى "باريس" هذا المساء. أما نحن فسوف نبقى هنا. وبالنسبة لك اعتقد أنه لابد أن تكون في مصنعك صباح غد!

— نعم، هذا بالإضافة إلى أنني على موعد مع مصوري الحاص. هكذا أردف الشاب ضاحكاً.

ثم دخل إلى المنزل متابعاً ذراع "ستيفاني".

لواجهوا في المطبخ الكبير الذي كان يعتبر حجرة طعام للأهل وحيث لا تلب النار مشتعلة بالمدفأة.

الفصل السابع

صباح الخير. أنا "ستيفاني" ماركيتيني". إني على موعد مع السيد دي موجاندر" في الساعة الثانية.

تفحصت الفتاة الجالسة في استقبال مكاتب المصنع دهشة الفتاة الوافقة أمامها، وتفحصت أيضاً جزءاً من معداتها في الحقبة الخاصة بها، أما الأخرى فكانت تحت قدميها.

— إنك إذن المصورة؟ آه!

— هل فاجأتك؟

— لا. سأتصل بالرئيس. اجلسي.

فالت لها هذا مشيرة بذقنها إلى مقعد.

كادت "ستيفاني" تطير فرحاً: ها هي الآن صاحبة مهنة. أخذت تنظر إلى قاعة المدخل المزدانة بالزهور والنباتات الخضراء، ذات الأثاث المناسب في ذوق رفيع. كانت تبحث عن المكان الذي ستبدأ منه، عندما أخبرتها موظفة الاستقبال - وقد ازدادت دهشتها - وهي تخفض سماعة التليفون:

- سينزل لا حذك. ربما يرغب في البدء بفناء المصنع. هل تعرفينه؟
- قليلاً..

هكذا أجابت الفتاة بابتسامة خفيفة.

- إنه شاب جميل.. هيه؟ ثم إنه دائماً مؤدب ومحب. لكنه منذ هذا الصباح زاد سحراً ووسامة...

قطعت تعليقها عندما رآته يخرج من المصعد. أسرع إلى "ستيفاني" وأمسك بحقيبتها ثم تابعت ذراعها وقادها إلى الباب الذي كان قد عمل على غلقه، وقبل أن يغلق عليهما، تمكنت "ستيفاني" من مشاهدة وجه موظفة الاستقبال الدهش.

بدأت العمل في مكتب "مارك"، في الطابق الثاني لمبنى مخصص للأبحاث والمطبوعات، وحيث قامت بإعداد رسوم ضخمة عن "ر. م. ع. أي" (رئيس مدير عام). وبعد ذلك نزلت إلى الطابق الأول وختمت جولتها بالفناء حيث يوجد المصنع الذي عملت على تصويره. وعندما عادت إلى مكتبه، قالت:

- لقد أصبح الوقت متأخراً بالنسبة للدخول يا "مارك". ساواصل العمل غداً.

- أنت المسؤولة عن إدارة عملك يا "ستيفاني". كما أن اليوم هنا بالنسبة للعمل سوف ينتهي بعد قليل للجميع. إننا نلغي ساعة الغداء حتى نتضمن من الانتهاء من العمل قبل زحام الطريق.. إذا كنت حرة وإذا كان يناسبك، فهل ترغبين في تناول العشاء معي؟

هكذا سألها مبتسماً في حنان وهو يقترب منها.

وضعت جبينها على كتفه وأغلقت عينيها.

أجابت بكل البساطة التي في العالم:

- أنت تعلم جيداً أنني أتمنى أن أكون معك.

وإذ تأثر "مارك" لهذه البساطة المتناهية، لأطف شعرها، أما صدقاته المعتادات فقد كن يجعلنهُ يلناح أكثر؛ إذن هذا يعتبر جزءاً من اللعبة.

لكن "ستيفاني" كانت تبدي سذاجة طفولية تجعله يزداد ارتباطاً بها.

عندما عادت في صباح اليوم التالي، عجزت موظفة الاستقبال عن معرفة أي موقف تتخذه.

عملت "ستيفاني" في المصنع، ثم ذهبت إلى "مارك" في مكتبه. عندما دخلت، رن جرس التليفون. أشار لها بالجلوس، قبل أن يرفع السماعة.

- آه، إنه أنت؟ صباح الخير... نعم.. السبت القادم؟

لم لا؟ إنه محب إليهم... أعرف الدكتور. لكن لن أكون بمفردي.

مصورة شابة. سوف تتمكن كذلك من تصوير الأسطبل... لا تترك

السماعة. سأسألك! إنها في مكتبي. "ستيفاني"، فروسية من

تورمادي. نهاية الأسبوع القادم، هل تشعرين بالرغبة في ذلك؟

وافقت في الحال.

- اتفقنا ستحضر بكل سرور. شكراً.

ثم أخفض السماعة وهو يوضح لها:

لقد طلب "سيرج دي مارقي" من ابن عمه وهو أحد أصدقائي أن

يذهبون في عطلة نهاية الأسبوع. سوف تعجبين بزوجه وبه، أنا واثق

بذلك. "بولين دي مارقي" مضيفة ممتازة. قد تكون مثل "ليديا".

سيدواجد أيضاً أخوها وهو طبيب تزوج منذ فترة قصيرة وهو شاب

الريف، قابلته منذ فترة، لكنني لا أعرف زوجته، غير أنهم مدحوا لي

صفاتها. وعليك تصوير خيول وأملأك مضيقاً...

ومن البديهي أنه سيكون زبونك الثالث!

- آه يا "مارك"! شيء جميل. إنني عاجزة عن التعبير...

اهش، دار حول مكتبه ثم أمسك بيديها، رفعهما إلى فمه. قبل

أصابعها، معصمها... وهو يتمتم:

- لا تنقلني بكلمة... إنك تغريني يا "ستيغاني" بسماحك لي بمعاونتي لك... إني...

ثم انتصب دون أن ينهي جملة.

وفي اليوم الذي تلا فترة التصوير في المصنع، كانت "ستيغاني" في شقة "أثروكادبرو" تناقش أحد فنانَي الديكور عن وضع الستائر وورق الحائط، وإذا بـ"أورورا" تدخل مضطربة جداً.

- يا عزيزتي! يا عزيزتي! "فيتوريو" سيكون في "باريس" غداً!

لقد اتصل بي هاتفياً، لقد تجاوز الحدود مع عربة النقل والجمالين لأن فترة الإقامة في المحرك كانت طويلة. سوف يتوقفون في الطريق. إنه متعب - عزيزي المسكين - ولا يرغب في القيادة بالليل. يا الهي من سيعاوننا على الاستقرار!

- لا تقلقي. سنتمكن - "فيتوريو" وأنا - من القيام بذلك. كما أن عاملة النظافة التي كانت تعتني بشقة الأنسة "ميركاديه" أتت وأبدت استعدادها لمعاونتنا. وقبلت عرضها هذا.

حينئذ تدخل رجل الديكور:

- في إمكانني أن أرسل لك شاباً ذا كفاءة إذا شئت يا سيدتي.

شكرته "أورورا" بحرارة معلنة أن المسائل المادية لا تهمها.

وانصرفت مطمئنة. حينئذ تبادل المكلف بالديكور نظرة مسلية مع "ستيغاني" قبل العودة إلى العمل.

ولما كانت الكونشيسة قد أخرجت قنصل "إيطاليا" بوصول لوحة "دافنشي"، أخطر هذا الأخير بدوره مقر الشرطة الذي أرسل مراقبين؛ لكي يعملوا على المراقبة حول المنزل.

وها هو إنتاج الفنان الإيطالي - الذي وصل في صندوق خشبي - قد حل بكل حرص ووضع في الصالون، وكذلك باقي اللوحات، وعادت سيارة النقل إلى "فينيسيا".

أعلن "فيتوريو" أنه سيقضي الليلة معها بما أن احتياطات الأمن -

أمنياً للسرقة - لم تتم.

حينئذ قالت له "ستيغاني":

- لا تقلق، لقد تم كل شيء. لقد جعلني "مارك" على اتصال بالهندس، فعمل هذا الأخير - أمس وأول أمس - على وضع أجراس الإنذار كما عنده بالضبط. هذا بالإضافة إلى أن جزئي هذا العقار الأخيرين، يشغلهما ملحقون بالسفارة. وبناءً عليه، الشرطة دائمة التجول في هذه المنطقة.

ولما ظل صامتاً أضافت:

- أنعمش أن تكون الآن مطمئناً؟

أبد ذلك بإشارة من رأسه.

كان قد تم إعداد الشقة قبل عطلة نهاية الأسبوع ببومين.

اضطرت "ستيغاني" إلى مساعدة "فيتوريو" بالرغم من وجود الشخص الذي أرسله فني الديكور، وكذلك عاملة النظافة؛ بذلك أصبحت الفتاة مضطرة إلى رفض دعوة "مارك" للعشاء. مكثت لوقت متأخر من الليل بمفردها مع شقيق "أورورا"، لكي تعمل على تنسيق اللوحات والسجاد والأثاث في انسجام. كانت الكونشيسة متعجلة بإدارة الـ "جورج الخامس" لأنها كانت متطلعة إلى حفل نهاية الأسبوع

أوف "فيتوريو" بلهجة ساخرة إلى حد ما:

- اعتقد أنك ستدعينني أخيراً غداً، مساء الجمعة.

- آه... نعم! لقد انتهينا. حقاً في وسعك القيام بما تبقى بدوني!

- وإلى أين ستتوجهين في فترة عطلة نهاية الأسبوع هذه المرة؟

- إلى "نورماندي"، لا أعرف من سوف يستضيفانني، إنهما صديقا "مارك" وربما يصبحان زبوين جديدين. هكذا أكد لي "مارك".

هر "فيتوريو" كنفه وأخذ يضحك ساخراً في شراسة:

- زبائن! ما الذي تقومين به أحياناً في غباء؟ هيه... إني أشفق عليك

من ذلك...

تظاهرت بأنها لم تسمعه وهي تنقل قطعة من الأثاث.

اليساطلة الودية.

أخيراً بعد أن استعدت "أورورا" وتزينت بالجوهرات وارتدت فستاناً
سليماً حريراً وصفت شعرها، دخلت في سرية في اللحظة التي كانت
"ستيفاني" تقدم فيها "مارك" إلى قنصل "إيطاليا". وأصبح الحديث
ساعداً. وفي هذه الأثناء وصل "هنري باردو" - بعد أن ألقى نظرة
سريعة على الجدران - وسأل الكونتيسة عن المكان الذي خبأت فيه
لوحة "دافنشي"، اللوحة التي كان يتوقع مشاهدتها في مكان بارز. فما
كان من القنصل إلا أن اعترف بأنه تساءل هو أيضاً نفس السؤال؟
أجاب "أورورا":

- إنها عندي. تكلمي يا "ستيفاني" باصطحاب أصدقائك إلى هناك
لمشاهدتها.

تقدمت الفتاة القنصل. و"مارك" وهاوي الأشياء الأثرية إلى الصالون
الذي غير الملحق بحجرة "أورورا". أضاءت "ستيفاني" المصباح الموجود
على اللوحة، فبدت رائعة.

إن وجه العذراء وهي تحتضن الطفل مؤثر جداً. والمنظر الخلفي للوحة
يظهر بأن الرسام سيقتدم في الفن عندما ينضج. لم يخطئ "جلان"
عندما قال لـ "مارك" إن لوحة "دافنشي" تشبه الـ "جيو كندا". فما كان
من "باردو" إلا أن صاح:

"رائع! أشعر بنفس الإحساس الذي لاحقتني في "فينيسيا" منذ اثني
عشر عاماً....

وكان للقنصل نفس رد الفعل، و"مارك" كان يتأمل في صمت معجباً
بها. عندما لحق بهما "جيلبير" الذي بعد أن تأمل هذا الإنتاج البارز
ودون أن ينطق بكلمة واحدة، همس في أذن صديقه:

إن الكونتيسة تمتلك كنزاً... أتمنى أن تكون الحراسة مشددة على
المسكن!

عادا إلى الصالون حيث كان أفراد آخرون قد وصلوا من بينهم الأستاذ
"بريسه" المحامي. قادته "ستيفاني" - بناءً على طلبه - إلى لوحة

وكانت نهاية الأسبوع في الـ "نورماندي" ناجحة بقدر ما كانت
السابقة. و"سيرج دي مارفي" أصبح بذلك الزبون الثالث لـ "ستيفاني".
أما عن سهرة الكونتيسة "ماركتيني"، فقد كانت أكثر من رائعة. إذ
كان البوفيه من نوع نادر. كان عدد المدعوين قليلاً وجميعهم من طبقة
متميزة. لقد دُعيت "كورين" بالتأكيد، لكن للأسف - هكذا أجابت
بكلمة مختصرة لكن لطيفة، إنها ستفادر "باريس" لفترة غير محددة.
على خلاف القنصل الذي أبدى هو وزوجته سروراً عظيماً للقاء - في
"فرنسا" - الكونتيسة وابنة زوجها.

كان "مارك" أول الوافدين إلى الحفل ومن بعده بقليل آل "جلان".
عندما رأى "ستيفاني" تتقدم نحوه في فستان أنيق أبيض على طراز
شرقي مطرز بالذهبي والفضي وشعرها في "شينيون" منخفض على
عنقها. وعلى وجهها المساحيق في اعتدال، والأساور الذهبية في
معصمها، ألقى إليها نظرة إعجاب غير قادر على إخفائها. كما أنه قاوم
بصعوبة رغبته في ضمها إليه بين ذراعيه.

لم تكن الكونتيسة موجودة حتى تلك اللحظة؛ لأنها كانت في
حجرتها من أجل الاستعدادات الأخيرة، لكن عندما ألقى "مارك" نظرة
دائرية في الصالون الكبير، رأى رجلاً يدير ظهره؛ لأنه كان يصب كأس
شراب واقفاً أمام البوفيه. وإذا كانت "ستيفاني" تتابع نظرات "مارك"،
نادت:

- "فيتوريو؟" ها هو "مارك دي موجاندر" الذي....

لم تتمكن من إضافة أكثر من ذلك من شدة ارتباكها: لقد أبدى لهما
وجهاً محبباً مشرقاً بابتسامة عريضة. ها هو أصبح فجأة الصورة ذاتها
التي للمضيف الذي يحسن استقبال ضيوفه، شاعراً بمسرة الحياة.

تساءلت "ستيفاني" لحظة إذا كان هو ذاته "فيتوريو رينالدي" الذي
يشد على يد "مارك" قبل أن يقوده نحو المشرب. متمسكاً بأن يملا
لهما كأسين بنفسه، رافضاً معاونة الساق، لكي يبدي رغبته في إظهار

"دافنشي". رافقهما "مارك" حيث كان يرغب في مشاهدة الصورة مرة أخرى. وبالرغم من أن السهرة قد طالت، إلا أنه لم يستأذن أحد منهم لأن الأحاديث كانت شائعة. والحفل ناجحاً في جو من المرح والالفة بين المدعوين.

اقتربت "ستيفاني" من "جالان" وأخذته جانباً. قالت له: - إن صورتك معي يا "جيلبير". هل ترغب في مشاهدتها؟ إذن اتبعني لكي أريها إياك.

وافق مرحباً، اتخذاً طريق الاتيليه، يتبعهما "مارك"، الذي كان لا يبعد عن الفتاة قط. لقد بدأت الحجرة تتحول إلى مكان عمل. كانت تتسم بالنظام وكل ما فيها مرتب. فردت الفتاة صور الممثل الكوميدي على لوح من الخشب، طويل موضوع على حوامل. فحصها هذا الأخير بعين مدبرة، ناقدة. تناول بعضها منها وناولها ما تبقى مبسماً: - أجدها كلها جيدة، لكن بما أن جميعها سوف تفيد الدعاية الخاصة بي، فانا مضطر إلى احتجاز سبع أو ثماني صور منها.

اتصلي بالسكربتير وأرسلني له الفاتورة، ذاك عنواني! - شكراً جزيلاً لك يا "جيلبير". لبتك تعلم مدى سروري لهذا الأمر! ثم أطلقت إحدى ضحكاتها المرححة البريئة، وإذا بـ "مارك" يعجز عن الامتناع من تحوير كشفها بذراعه وضعها قليلاً إليه تحت نظرات صديقه الماكرة:

- إننا يا "جيلبير" نحضر بداية مصور صحفي. هل تعرف "سيرج دي مارفي"؟

- نعم.. إني أشتري له خيولاً. لماذا توجه لي هذا السؤال؟ - لقد قامت "ستيفاني" يوم الأحد الماضي بتصوير إسطنبول. وسوف يعمل على نشر بعض هذه الصور في إحدى الصحف الأسبوعية للدعاية. بداية طيبة اليس كذلك؟

تركوا الاتيليه، وكان الحديث يدور حول مهنة "ستيفاني" التي تسير قدماً. كان "مارك" لا يزال ممسكاً بكشفها إلى أن ولجا إلى الصالون.

بسرعة أنزل ذراعه، لكن مع ذلك ليس بالسرعة التي تمكن "فيتوريو" من ملاحظته. حول الإيطالي رأسه وفي عينيه شعاع حقد. غير أن هذه السيدة التي لا تغفل عن كل ما يدور من حولها، بل وأكثر من ذلك، لاحظت كل شيء.

اقتربت إذن من أخيها - ومستمرة في الابتسام - همست إليه آمرة، إياه بأن يتخلى عن دوره كشاب ساحر، من الستطاع - بما له من موهبة - غزو قلوب كل مدعويه.

ثم رويداً رويداً، ترك كل المدعوين الصالون، لكن ليس قبل تقديم الشكر إلى الكونتيسة عن هذا الحفل الناجح...

تلكا "مارك" وكان آخر من انصرف؛ لأنه لم يكن يرغب في مفارقة "ستيفاني". وعندما عاد إلى مسكنه لم يدخل إلى مخدعه في الحال، بل جلس - كعادته - في المقعد الوثير الذي في مكتبته وهو الذي يلجأ إليه كلما شعر بمشكلة تقلقه واستسلم لحلم طويل. لم يسبق لفتاة أن أدبرت فكره إلى هذا الحد. وكانت هذه هي المرة الأولى التي يشعر فيها بمثل هذا الإحساس. لقد أصبح وجود "ستيفاني" ضرورياً بالنسبة له.

كانت وجبة العشاء ممتعة برفقتها، حتى أصبح غير قادر على التخلي. أو الابتعاد عنها، وكان لا يجد فيها أي غش أو زيف أو دلال مخادع. فهو يشبهها بسبع صاف. أفكارها أصيلة وثقافتها تزيد من سحرها وحالها. لكن عندما ذكر في الرغبة التي له فيها، استعاد رؤية هاتين العيون الزرقاوين اللتين تفحصانه في ثقة. حينئذ، نهض من على مقعده، هز كتفيه كمن يتخلص من فكرة عملت على مضايقته. حكم بأنها تعمل على تعطيم سكنيته. ودخل إلى حجرته وقد بدا مهموماً.

الفصل الثامن

لم نجد "ستيفاني" في هذه الليلة سبيلاً للنعاس. كانت تفكر في "مارك" وفي الحب الذي تكنه له. أخذت تفكر في هذا الحب الذي

ينمو أكثر فأكثر كل يوم، حتى كاد يخيفها. فهي تعلم أنه تملك قلبها، وأنها لن تستطيع العمل على استعادته. وهو؟

كما أنها ليست ساذجة إلى الحد الذي يمنعها من التحقق من أنه يرغبها. كما أنها مازالت تشعر بأثر شفتيه الحارقتين بشفتيها، وبذراعيه اللتين ضممتاهما إليه حتى كادت تختنق. والآن وهو يعيدها إلى منزلها، كان مكتئباً بتقبيل يدها وملاطفة شعرها قبل أن يفتح لها باب سيارته قائلاً:

- طاب مساءك أيتها الفتاة الصغيرة، نامي جيداً...

كانت على استعداد أن تكون له - وهو على علم بذلك - لكن لم يخشى إذن.

فجأة تذكرت الكلمات التي تبادلها ذات مساء، عندما تناولوا العشاء معاً لأول مرة على انفراد، بعد أخذ الصور بالمصنع.

عندما أمسك بكتفيها ونظر في أعماق عينيها، وسألها:

- ماذا تعرفين عن الحب يا "ستيفاني" الوديدة؟

وكانت - دون أن تفكر - قد أجابته فوراً مع حركة خفيفة بدينها:

- لا أعرف الكثير عنه يا "مارك". فهو يبدو - في عصرنا هذا - أنه

قد مضى زمانه - بالنسبة لفتاة في مثل عمري - لكنه هكذا.

ثم ندمت فور نطقها بهذه الكلمات. شعرت بأن ذراعي "مارك" لم تعودا قويتين في ضمها إليه، وأنه كف عن البحث عن شفتيها، لكنه كان يكتفي بلمس جبينها.

وفي يوم السبت التالي، توجه "مارك" إلى أسرة "ستيفاني"، وقد غفلت هذه الأخيرة عن وحدتها؛ إذ كانت تعمل في الاتيليه، حينئذ دخل "فيتوريو". قال:

- لقد اشترت سيارة BMW. إنها سيارة جميلة، جيدة للرحلات. هل تقبلين انجيء معي لتجربتها في "دوفيل"؟ الطقس رديء، لكننا لسنا مضطرين للبقاء في الخارج.

هكذا أضاف مبدئياً ابتسامة ساخرة.

رفضت الدعوة. أما هو فقد خرج من الحجرة وهو يتمتم من بين أسنانه:

- أنت، سوف تخضعين ذات يوم. غبية!

وعندما أتى المساء أدركت كم أن "مارك" يملأ حياتها. وإن كانت في الواقع لا تعرفه إلا منذ فترة قصيرة، وما هي الآن تشعر بأن اليوم الذي يمر (دون أن تراه فيه يبدو لها قرناً! من أجل ذلك تلقت اتصاله الهاتفية صباح يوم الاثنين بسرور بالغ.

وفي منتصف الأسبوع، كانت صور "سيرج دي مارفي" قد أعدت. أخبرته عنها، وعرضت عليه أن تحضرها له في "نورماندي" في أول عطلة نهاية أسبوع برفقة "مارك" بالتأكيد!

وعندما وصل "مارك" و"ستيفاني" - في يوم السبت التالي - إلى آل "مارفي"، كان الطقس ربيعاً؛ لأن الحريف كان قد بدأ في اتخاذ مسار الشتاء. قاما برحلة على ظهر الخيول وعادا مبتلين؛ لذلك لم يعملوا على حرا. ذلك يوم الأحد. وانقضت فترة بعد الظهر في جو عائلي، أمام نار المدفأة. هناك أيضاً كان شقيق "بولين دي مارفي" وعروسه الشابة عاكدين من الإسطنبول.

كانا يتبادلان عبارات المودة واللطف مع "ستيفاني"؛ وكانت الشابتان يبادلان الذكريات عن "جنيف" التي تعرفانها جيداً.

ثم بعد تناول الشاي في الساعة الخامسة من بعد الظهر، قاموا جميعاً بالعبة "الإسكربل" العائلية (وهي عبارة عن مسطح توضع في مسطحات (فيشاط) من الحروف لتكوين كلمات). تركبها قفزة فجائية من القط الأسود وسط هذه القطع المصفوفة... مشهد جعل "مارفي" يبدي إحدى ثوراته المألوفة، والتي أصبحت لا تؤثر في أي أحد منهم منذ زمن طويل. بل بالعكس أخذوا جميعهم يرححون ويضحكون وبذلك يعملون على إغاظته. فوجئ "مارك" بأنه يضحك هو أيضاً، الأمر الذي جعله ساهماً.

ثم نهض واتجه نحو النار التي تطلق في المدفأة، ملقياً نظرة دائرية

على ما حوله.

لم يسبق له في حياته الحصول على فرصة التواجد في مثل هذا المناخ العائلي الذي تسوده السعادة الهادئة.

في الوقت الذي كان فيه صبيًا صغيرًا يطعم القط، كانت "بولين" - مستفيدة بتوقف اللعب لفترة - قد توجهت لكي تلقي نظرة على طفلة لم تتجاوز عامها الأول، تلعب في مربع مغلق، بدمية من الكاوتشوك. وكم كانت دهشة "مارك"، عندما اضطر إلى مصارحة ذاته بأنه لم يشعر بالضيق دقيقة واحدة خلال هذه العطلة، كما أنه قد أعجب بهذه اللعبة المسلية - وقد يدعوها البعض لعبة أطفال - حقًا إن هذه الأسرة - أسرة "مارفي" - تتمتع بروح المرح الطبيعي الذي لا يقارن بالمسرات الأخرى.

على طريق العودة، سأل "مارك" "ستيفاني":

- هل أنت مسرورة؟

- آه... نعم يا "مارك"! ظننت أنني عند صديقتي "نيكول" في "جنيف" التي كثيرًا ما كانت تدعوني عند والديها. هل تعلم أنني لم أعمل قط الحياة الأسرية. من البديهي أن مدرستي الداخلية كانت فاخرة، لكن مع ذلك كنت وحيدة هناك...

كان لنبرة صوتها صبغة حزينة. لم يعجبها "مارك"، لكنه فكر في أنه هو كذلك لم يعرف مطلقًا مثل هذه الأيام التي عاشها مؤخرًا. كان والداه يكرهان من إقامة الحفلات، ووالدته كانت تعشق الرحلات، وتكثر من الأسفار. بذلك، كان - أثناء مرحلة مراهقته - وهو ابن وحيد - لا يجد عند عودته إلى المنزل سوى "أنا" في انتظاره. وعندما بلغ سن الشباب أصبح طالبًا لامعًا، ذكيًا... ثم فتحت أمامه كل الأبواب، وكل سبل السعادة قُدمت له، وكذلك الأذرع امتدت له. وها هي فتاة بسيطة، حانية وجميلة لم يسبق له معرفة مثيلة لها، تعمل على قلب الأسلوب الذي كان يسلكه، وتضع أمامه علامة استفهام...

عندما وصل أمام منزل "ستيفاني" أوقف السيارة، ونظر إلى أعماق

عينها لحظة. تردد لمدة دقيقة، ثم ضمها إليه وقبلها متمنًا:

- "ستيفاني"، لقد قضيت يومين لن أنساها أبدًا.

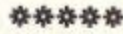
اهتز ستار إحدى نوافذ المسكن. ها هي "أورورا" تنظر مبتسمة إلى الشائتي المتألف...

وإذا بصوت من خلفها يقول:

- هل تقومين بدور المراقبة؟

- أسكت، إنك سخيف! السنارة أوشكت أن تغمز... لقد بدأت السمكة تبلع الطعم.

رفع "فينتوريو" حاجبيه دهشًا. لم يسبق له "أورورا" أن خاطبته بمثل هذه اللهجة. تفرس فيها، ولاحقه إحساس بأنه يرى أحد خبراء الخطط يقوم بوضع خطة الهجوم.



- آلو! صباح الخير. هل في إمكاني الاتصال بالسيد "موجاندر" من هناك؟

- من قبل من...؟

- الأنسة "ماركتيني".

- لا تتركي الساعة، أعتقد أنه في مؤتمر.

ثم بعد لحظة خاطفة، سُمع صوت "مارك" المرح يسأل:

- صباح الخير يا "ستيفاني"، ما الأمر؟

- هل أزعجك؟

- لا أبدًا. كثيرًا ما يكون المؤتمر سداً أمام المزعجين، أنت تعلمين ذلك.

- أنا آسف يا "مارك" بالنسبة للعشاء؛ لاني مضطرة إلى اصطحاب "أورورا" إلى "لندن" سنرحل الآن.

- إلى "لندن"؟ لكن لم يسبق لذلك أي إنذار مساء أمس؟

- أمر جديد. إنها مضطرة إلى السفر إلى "إنجلترا". إنها على موعد

يجب عليّ أن أعاونها، إنها لا تحيد اللغة الإنجليزية، لا تعرف سوى بعض الكلمات ولهجة إيطالية...

- وأخوها؟

- لقد رحل إلى "روما"، لن نطيل البقاء هناك. ثمان وأربعين ساعة على الأكثر. ساطليك فور عودتي.

- إلى اللقاء يا وديعتي، سوف أنتظرك بفارغ الصبر.

- وأثناء السهرة - إذ شعر بأنه معذب في وحدته - توجه إلى صديقه "جيلبير" الذي - وإن كان قد ابتهج لرؤيته - قال له:

- ليست لديك محاضرات في الإيطالية ومن ثم تذكرتنا؟

هنا تدخلت "ليديا":

- أرجوك لا تعمل على إثارتها!

- لا أقصد مضايقتها، ألا ترين ما يبدو عليه من ضيق. هيا يا صاحبي، مزاجك ليس على ما يرام؟ ما رأيك في أن نتناول مشروباً منعشاً.

وقاده إلى المشرب الملحق بالصالون مواصلاً حديثه:

- يقال إن ظهورك في النوادي الراقية أصبح قليلاً. لقد أخبرني الساقى القائم بالعمل عند "كاستيل" بأنه لم يرك سوى مرتين خلال خمسة عشر يوماً. كما أنه أكد أن نفس الفتاة الرائعة الجمال كانت بصحبتك. أنت إحدى الشخصيات البارزة في "باريس" لا تدع الفرصة للشرثرة والأقويل... أنت تعلم...

سأله "مارك" وقد شعر بأنه بدأ ينقل:

- في حق من؟

ربت الصديق كتفه وسأله:

- على الأقل، هل أنت مسرور؟

وضع كوبه وأجاب:

- نعم.

ثم نظر إلى الممثل الكوميدي وأضاف:

- "جيلبير" اعتقد جيداً أنني عاشق...

عادت "ستيغاني". وكما كان متفقاً عليه تواجداً في مشرب "الفوكيه". وصل من قبلها وجلس يراقب المدخل، متعجلاً مشاهدة الوجه الرقيق الذي افترقه، كما اعترف بذلك داخلياً. ها هو الآن بجوارها، ينظر إليها، مبهوراً بهذا الحب الجديد الذي تولد بداخله، عاملاً على كسبه.

صارحته "ستيغاني" بأنها - عند عودتها من السفر - وجدت خطاباً من إحدى المطربات تطلب منها فيه الذهاب إلى شقتها لالتقاط صور للدراسة قبل جولتها. وهي من طرف "جالان".

- حسناً بالمناسبة، حتى الآن لم ترسلني فواتيرك إلى مكتب حساباتي.

- لا يا "مارك". ليس أنت!

- لا يمرر لذلك. يجب ألا تمزجي الأعمال بالمشاعر والتعاطف.

ولما لم تجبه، غير من مجال الحديث وأردف:

- أنا لا أود أن أكون متطفلاً، لكنني حائر بالنسبة لهذا السفر المفاجئ.

تراجعت خطوة، ثم أجابت مترددة:

- سأحدثك يا "مارك" كصديق، لكنني أطلبك بكم السر الذي سأصارك به، ولكن "أورورا" ستتضابق لو علمت أنني كشفت لك عنه. لكن بالنسبة لك... ليس...

- اسمعي يا "ستيغاني"! في إمكانك أن تخبريني بكل شيء. ومع ذلك إذا كنت مترددة، فانا لا ألزمك بأي شيء.

حولت عينها في حرج.

- أنا لا أفهم ما يحدث. لقد توجهنا إلى "لندن" من أجل بيع

.... عند "سوثي" حيث كانت على موعد.

صمتت الفتاة برهة، ثم واصلت وقد أخفضت رأسها:

— "أورورا" تعترم بيع لوحة "ليونارد دافنشي".

انتفض "مارك" وقد شعر بأنه ضحك.

— ماذا تقولين؟

— اعتقد أنها تعاني من أزمة مالية، ومن أجل الحفاظ على سمعتها، لا تستطيع بيعها في فرنسا ولا في "إيطاليا". وفي "لندن" ضمنوا لها سرية الأمر. على ما يبدو أنهم يتعاملون مع الأمريكيين الأثرياء أو بعض الأمراء العرب...

تناقشا كثيراً طوال السهرة بشأن هذا الأمر. بعد أن عاد "مارك" إلى منزله، وفكر كثيراً وهو غارق كعادته في مقعده الوثير ذي المساند، هزم على الذهاب لزيارة الكونتيسة في صباح اليوم التالي.

وبما أنه على علم بموعد "ستيفاني" مع المطربة، اتصل هاتفياً بـ "أورورا" في غياب ابنة زوجها. وإذا فوجئت الكونتيسة لاتصاله المبكر هذا، سألته عن السبب. وبالرغم من رده الغامض عليها وافقت على استقباله، لكن بعد تردد طويل.

ثم أخفضت سماعة التليفون وأبدت ابتسامة نصر. اتجهت نحو "فيكتوريو" الممدد في تراخ على الأريكة، وقالت له بصوت معسول:

— من فضلك يا عزيزي دعني بمفردتي؛ لأنني سوف أستقبل الآن ضيفاً قد يضع حداً لمشاكلنا، لأنه كليل بحلها.

ثم بعد فترة وجيزة، أدخل الخادم "مارك" إلى صالون "أورورا". كانت ترتدي فستان بيت أنيقاً وكانت كعادتها جالسة أمام مكتب صغير لـ "لويس السادس عشر". وهي تتصفح بعض الأوراق، التي وضعتها في بطة لكي تستقبل الشاب وتمد له يدها.

اتحنى أمامها. وجدها بنفس الجمال ونفس الزينة وتسريحة الشعر الأنيقة، لكن كانت نظراتها معتمة على غير عادتها.

— لقد ارتبكت بالنسبة لاتصالك هذا يا عزيزي. ما الذي في وسعي

أن أقدمه لك؟

وإذ فوجئ، ارتبك. كيف سيعمل "مارك" الآن لكي يبرر زيارته دون أن يفصح بما اتهمته عليه "ستيفاني"؟ حدث ذاته بأن أبسط الأمور هو أن يحكي لها حديثهما الذي دار في الليلة الماضية.

اتخذت هذه السيدة مظهرًا متمسكًا. وبلهجة فائرة غير متوقعة عند هذه السيدة، قالت:

— سيدي العزيز، أن تكون على صلة مودة مع ابنة زوجي، كما لاحظ هذا، فمن الطبيعي أن تأتمنك على سرها، هذا يخصها وحدها. إنها حرة، وإن كنت أسمي هذا النوع من المصارحة: عدم كتمان للأسرار. لكن أن تأتي سيادتكم لكي تسألني عن موضوع بيع لوحة أمتلكها، فهذا يدهشني، كما أنني أرفض تدخلك في حياتي الخاصة. نطقت بهذه الكلمات الأخيرة وهي واقفة، متمسكة بكرامتها. خجل "مارك" بشدة:

— أرجو يا سيدتي ألا تشعري بجرح لأحاسيسك. أنا هنا بصفة صديق. لأنني أكن لـ "ستيفاني" حناناً بالغاً، ولقد شعرت بأن في حياتك — وبالتالي في حياتها — مشكلة ربما يكون في إمكاني معاومتك على حلها أقبلي صداقتي. إنها أكيدة صديقي.

انهارت "أورورا" أمام هذه الصراحة وهذا اللطف الزائد وذلك التعاطف. أخفضت رأسها. وعندما رفعتها، سألت دمعة على وجنتيها. تناولت مندبلاً صغيراً أو على الأصح قطعة من الدانتيل، أخذت تلويها وهي توضح الموقف بصوت ضعيف، برتجف من حين لآخر من الانتحاب الخفيف.

— أنا لست كفيلاً لإدارة ثروتني؛ لأنني كنت مدللة، في البداية من والدتي ومن بعدها من زوجي. لقد تزلزلت والدتي وهي في ريعان شبابها، وكان أخي "فيكتوريو" يبلغ عاماً واحداً... وأصلنا حياتنا كما في الماضي. لكن كان ذلك أعلى من وسائلنا. وأنا مثلها لا أبالي... اعترف بذلك.

سألها "مارك" لكي يخفف عنها أكثر من أن يكون تطفلاً من جانبها:
— ماذا كان يعمل والدك؟

انتحبت وانتظرت قليلاً، الفترة التي كانت تختبر فيها وصفاً مشرفاً لهذا الوالد الذي لم تعرفه كثيراً.

— كان ملحقاً تجارياً في وزارة الخارجية. لذلك "فيتوريو" يتبع هذا العمل. وهو كثير الأسفار.

كانت قد قامت بتحويل الحقيقة، لأن النشاط التجاري الذي كان يمارسه الوالد كان يتلخص في إعادة بيع أشياء مختلفة على ميناء "نابلس". عملية كلفت هذا الرجل الإقامة في سجن المدينة أكثر من مرة. وواصلت بصوت خافت قصتها باللغة الفرنسية، تتخللها كلمات إيطالية:

— وعندما تزوجت من الكونت "ماركنيني" عشت أيضاً حياة الترف والبهذخ. وبعد وفاته، لم أنتبه إلى أنني أهدم ثراث وثروة الأسرة وذلك بالقيام بعدة رحلات... وعندما بلغت "ستيفاني" سن الرشد، وكنتني عن نصيبها من أملاك والديها. احتفظت بها لكي أقوم بعملية ترميم لمقر إقامتنا على شاطئ "جيراند كانال" الذي لحقه تلف من مياه "فينيسيا". يجب أن أخبرك بأنني لم أراجع بيان المساولين، وأنهم نهبوني. ثم واصلت العمل على إقراض رصيد ابنة زوجي وذلك باستمرار في الاحتفاظ بنفس نمط الحياة السابقة...

ثم نهضت وأخذت تتجول في الحجرة، بالطول والعرض، في عصبية. — "مارك" اسمح لي بأن أناديك "مارك". أشعر الآن أنه في إمكاني أن أصارحك بكل شيء. لم أجبر على مصارحة أحد بالأمر، لكن منذ بضعة أيام استبد به الضيق وأصبحت عصبية جداً. والحزن اعتصر قلبي. وعلمنا بأنني متعلقة بـ "ستيفاني" العزيزة. تحققت فجأة من أنني سرقتها. نعم... إنه التعبير السليم "سُرقت" إنها ترغب في البقاء في "باريس"، وأن تقوم بإدارة مشروع. بما كان لها من رصيد كان في إمكانها أن تكون على رأس أشهر وأكبر ستديو تصوير في العاصمة.

ومن حقها أن تطالبني بحسابها. كيف أرد عليها؟ إنني أسرفت في التذير في نصف أموالها على الأقل؟ شيء قطيع، مستحيل! وإنني واثقة بأنها — مع وداعتها هذه ولطفها — لن تلومني. لكن من واجبي أن أعيدها لهذا المبلغ. هل علمت الآن لماذا عملت على بيع تلك اللوحة التي كان زوجي يفخر باقتنائها؟

إثر هذه الجملة الأخيرة اتهارت أمام مكتبها وهي ترتجف ببعض التقلصات الحفيفة.

وكان "مارك" يستمع في هدوء إلى اعترافات الكونتيسة. مكث صامتاً لحظة، قضاها في التفكير في هذا الموقف، ثم نهض واقترب منها. لقد اتخذ قراره:

— سيدتي، اهدئي واستمعي إلي. لماذا التوجه إلى "سوثي"؟ اعلمي على الحصول على زبون؛ وبذلك تتجنبين دفع تكلفة الوساطة. إنني مقتنع بأنه في إمكانك الحصول على زبون كتوم. رفعت رأسها دون أن تجرؤ على النظر إليه:

— لقد فكرت في ذلك. لكن كيف أتصرف حتى لا يذاع هذا الخبر؟ أعتقد أنني أعرف أحد الهواة وهو شخصية رقيقة، وسوف يسر باقتناء مثل هذا الفن الرائع في منزله.

التفتت نحوه ونظرت إليه وعينها مغرورتان بالدموع:

— ومن هو إذن؟

ابتسم لها الشاب:

— أنا.

صاحت:

— لا! مستحيل! هذا مستحيل! إنك شخص رائع يا "مارك". شكراً لكنني غير قادرة على الموافقة! لأنني سأفكر دائماً في أنني أجبرت على هذا العمل. عن صداقة... لطيف... عن... لا! إنني رافضة هذا العرض. لا تجعلني أندم على مصارحتي لك، لأنك لم تسألني عن الثمن.

- إني أشك في ذلك. بعد كل المصاريف ما هو المبلغ الذي سوف يبقى لك؟

- هل حقاً ترغب في معرفته؟

- بالتأكيد.

- تسعة ملايين من الجنيهات.

- بعد أربع وعشرين ساعة، سأوقع لك شيكاً بهذا المبلغ في مثل هذه الساعة. وبذلك يكون في إمكانك إيداع المبلغ قبل غلطة نهاية الأسبوع. وإن كان هذا العمل الفني معروفاً لكل هواة العالم، هل لديك وثائق أهلية؟ المعبدة لكن هذا من أجل ضمانتي.

هنا تجمعت "أورورا" بصوت متردد:

- أرجوك دعني أفكر ثانية.

- لقد تم التفكير. إنك لا تستطيعين جعل مثل هذه اللوحة الرائعة ترحل، الله وحده يعلم إلى أين، لأن عمل "دافنشي" ملك لـ "فرنسا". لقد عاش فيها ومات. ثم واصل:

- الآن نسرد قليلاً من التاريخ - وكان يرتب يدها كأنها طفلة مخططة - لا تغفلي عن أن "فرنسيو الأول" كان قد ألحقه بهلاطه. لقد عمل في بلدنا حتى وفاته، بالقرب من "أمبواز"... هل كنت تعلمين ذلك؟ هزت رأسها:

- نعم، لا... ربما، لم أعد أعلم شيئاً.

وأخيراً نهضت وفتحت خزانة موجودة خلف إحدى اللوحات، بحثت في أحد الظروف، وأخرجت منه أوراقاً، مدت له يدها بها.

- لديّ هنا وثيقة أفضل من كل الشهادات. إنها ورقة اعتماد مصرفي من "روما". يُنك الإسماعف، كما تسمونه هنا في "فرنسا". كنت قد قمت برهن هذه اللوحة قبل مجيئي إلى "باريس". وكان هذا القطع قد قام بفحصها قبل أن يمنحتني قرضاً يساوي ربع قيمتها. ولقد دفعني سداؤه إلى المساس بمال ابنة زوجي. وفي إمكانك الأخذ بشهادة فنصل "إيطاليا" و"هنري باردو"؛ لانهما كانا قد حضرا إلى "فيتيسيا"

لمشاهدتها. وكنت قد حرصت على إحضارها إلى "باريس" لكي أساوم عليها.

تفحص "مارك" جيداً الأوراق... وتحقق من أن كلها واضحة وسليمة. هذا بالإضافة إلى وجود وثيقة بخط يد الكونت توضح كيف وصل هذا العمل الفني إلى أسرة "ماركتيني دي بروسو" في بداية القرن التاسع عشر. وكانت قصة تبدو شائقة.

- ومن البديهي، التامين الخاص بي سوف يرسل خبيره، وهو أمر طبيعي. أما عن نفسي فسوف أكون هنا في نهاية الفترة الصباحية ومعني عربة نقل صغيرة وحرس مسلح. يجب اتخاذ الاحتياطات. أعتقد أنني سوف أقضي وقتي في مكتبي مستمتعاً بوقتي في التأمّل! وهنا تذكّرت فجأة - هكذا أضاف مرحاً - يوم الاثنين هو عيد القوات المسلحة. سأحصل على يوم إضافي. والآن سيدتي العزيزة، يجب أن أتركك لأنني على موعد مع "ستيفاني" للغداء. فكر لحظة وختم:

لن أعطيها تفاصيل، طالما أنك منذ الغد سوف تدبرين أمرك.

بالرغم من أن "ستيفاني" كانت مسرورة وهي تقرأ مجلة المهنيين كانت ترفع رأسها من حين لآخر نحو باب مدخل المطعم. إنها أول مرة يتأخر فيها "مارك". قلقت؛ لأنها لن تجد وقتاً كافياً نقضه معه. كان على المطربة أن تنتظرها في تمام الساعة الثانية وكان عليها أيضاً أن تمر لأخذ معدادتها. لحسن الحظ أن هذه الفنانة لا تسكن بعيداً عن الأتيليه.

دخل وكأنه يكاد يجري. بحث عنها بعينه وعندما رآها وجدها في رونق الشباب، وكانت عيناها لامعتين من الإثارة.

تناول يديها وضمهما طويلاً وهو يبتسم، يعمق النظر في عينيها، قبل أن يرفعهما إلى شفتيها. كان موشكاً أن ينطق، عندما رأى رئيس المحمّد واقفاً أمام مائدتهما. نظرت "ستيفاني" إلى ساعتها. - "مارك"، سأتناول وجبة خفيفة وسريعة. زبونتي في انتظاري في

الثانية تماماً.

— المَعْدَرَة، كان عليّ القيام بزيارة ذات أهمية قصوى، ومن بعدها اضطررت إلى التوجه إلى البنك الذي أتعامل معه.

أعدا قائمة طعامهما، لكن في اللحظة التي كان يستعد فيها لإعلانها الخبير، بادرته بقولها:

— إنني في حاجة إلى نصائحك. إن عملي في تقدم بفضلك. وإذا استمر الحال على هذا النحو فسوف أحتاج إلى شراء متدربو تصوير. وفي المستقبل قد أحتاج إلى مساعد أو اثنين. من يدري؟ أنا لا أربح في التعجل، لكنني بدأت بالإعلان عن ذلك في إحدى الصحف. على أي حال من الأفضل الشراء في هذا الوقت.

عرضت عليه مشاريعها. وبينما كان "مارك" يستمع إليها، هنا ذاته بأنه أسرع بشراء لوحة "دافنشي"؛ لأنها حالياً ستعمل على فحص رصيدها.

— "مارك"، هنا أسرد لك قصصي القصيرة، لكنني أراك غير متحمس! إنك تمنحني إحساساً — منذ وصولك — بأن هناك أمراً غريباً قد تم في حياتك. وقد يكون موقفاً سعيداً... هكذا أضافت مبتسمة.

مال عليها:

— العديد من الأمور يا عزيزتي. أولاً هانت بالقرب مني وهي أكبر سعادة بالنسبة لي. ثم — غداً في مثل هذه الساعة، سأكون مالك العمل الفني البارز، وبالتأكيد تعلمين مدى تأثير ذلك في.

ألقيت إليه نظرة استجواب. نهض، توقف لحظة ثم قال:

— لقد امتلكت لوحة "العذراء والطفل" لـ"ليونارد دافنشي".

اهتزت الفتاة وشعرت بأنها شحبت.

— "مارك" أنت! لكن لماذا؟... مثل هذا المبلغ...

بحثت عن كلمات، تحققت من أنه غير لائق بأن تذكر القيمة أمام أحد الهواة وهو على قسط من الشراء.

كان ينبغي بالعكس أن تبدو مسرورة بأن هذه اللوحة — طالما كان لا بد من أن تباع — أسعدت صديقاً، غير أنها — وهي عاجزة عن تفسير السبب — شعرت بعدم الارتياح لهذا البيع.

لقد تم ذلك بسرعة، كما أنه كان غير متوقع. أثرت الصمت. على أي حال، ها هو قد عمل على إلقاء ضوء على الموقف.

ومع ذلك كان حريصاً على عدم المساس بجانب الإرث الخاص بالفتاة كما حذرته الكونتيسة.

الفصل التاسع

— هل علقت لوحة "فيليب دي شامبينيه" في الصالون الصغير؟

— نعم.

— هل تعتقد أن مكان لوحة "دافنشي" مناسب هنا؟

— آه نعم! لأنني أريدها أمام عيني عندما أستمع إلى الموسيقى.

لقد مرت ساعة، تناقش خلالها كل من "مارك"، "ليديا"،

"جيميلير"، و"ستيفاني" حول المكان المناسب لوضع لوحة "دافنشي"

في مكتبة. أملاكه الجديدة تحت إشراف رئيس الخدم الذي كان يعاونه

في نقل الحامل ومعه المسامير والمطرقة. وفي النهاية بعد مداولة طويلة

لمعرفة إذا كانت قيمة اللوحة تظهر أكثر وهي على الحامل أم على

الحائط، علقت حسب رغبة "مارك": على لافتة في مواجهة الأريكة

التي يتعمد عليها عادة لاستماع "الكاسيت". أثناء ذلك، أنت "أنا"

معلنة أن الشرطي المكلف بمراقبة المكان المحيط بالفندق الخاص — وهو

مازال موجوداً — يرغب في الانصراف مبكراً لأنك بانه لا فائدة من

تواجده. حينئذ صاح الشاب:

— يا إلهي، لقد غفلت عنه تماماً، سأوجه إليه. "أنا" .. قدمي

المشروب هنا .. إذا شئت مفهوم ..

تمدد "جيميلير" على الأريكة.

- لقد أرهقني بتركيب لوحته. لم أره مضطرباً مثل اليوم. يجب الاعتراف بأن امتلاك لوحة "دافنشي" يعتبر حدثاً فريداً في حياة أحد هواة الأشياء النادرة.

مرت سنوات والسوق الدولي خال من مثل هذه الروائع. ولولا أننا متمسكون بالسرية - حسب رغبة الكونتيسة زوجة أميك أيتها العزيرة "ستيفاني" - لكانت كل الصحافة أمام الباب!! وعلى أي حال إذا لم تكن الكونتيسة قد عملت على عرضها، ما كان "مارك" قد حصل عليها. ولكانت الدولة قد أبدت حقها في الحصول عليها من أجل المتاحف الدولية.

أجابه الفتاة ساهمة:

- كنت أجهل أن الكونتيسة كادت تفلس. كل ما أخبرني به هو أن ديونها تراكمت ولا تعرف كيف تتصرف لمواجهةها. بقدر ما هي حريصة على الحفاظ على مستواها الاجتماعي وكان الإعلان عن بيع مثل هذا الإنتاج النادر - بالنسبة لها - يعد هزيمة. ثم صممت، لكنها كانت تواصل التأمل. وها هو "مارك" قد عاد تتبعه "أنا" حاملة الكؤوس والشراب. وبينما وقف الشاب يتأمل كسبه الجديد، حوط كتفي "ستيفاني" بذراعه.

- إني سعيد لأنك هنا وسط صديقي، وها قد أصبحت لوحة "دافنشي" ملكاً لي.

ثم أضاف:

- أعدي إذن هذه الصورة.

قال هذا وابتعد عنها لكي يقف بجوار اللوحة.

في الحال، أخرجت "ستيفاني" ألقتها مبتسمة وبدأت في التصوير. وعندما انتهت من مهمتها أعلن "جيلبير" وكان مازال مستلقياً على الأريكة:

- لقد قاربت الثامنة. أنا جوعان! أتعشم أن تدعونا للعشاء في مثل

هذه المناسبة السعيدة.

- بالتأكيد. لقد تدبرت الأمر. لقد عملت على حجز مائدة عند "لاسير".

- رائع. إنك تجيد التصرف، سوف نتركك في ساعة مبكرة؛ لأننا نرغب في الرحيل صباح غد إلى الريف. هل أستطيع سؤالك عما تعزم القيام به أثناء عطلة نهاية الأسبوع؟ أعتقد أنك لن تغادر مكتبك؟ - لقد خمنت.. حسناً.

ثم ملتفتاً إلى "ستيفاني"، معمقاً النظر في عينيها ومبدئاً ابتسامة حانية تكاد تكون خجولاً، قبل أن يسألها بصوت خافت:

- هل ستترافقيني؟ في إمكان "أنا" أن تعد لنا وجبة لذیذة ونستمع إلى الموسيقى.

- آسفة، لأنني لن أكون في "باريس" خلال الأيام الثلاثة القادمة.

لم أجد الفرصة حتى الآن لكي أكلّمك عن هذا الموضوع، لقد حدث لي أمر هائل!

في هذه الأثناء بينما كان "مارك" يتحدث مع الفتاة، صب "جيلبير" كأساً أخرى له ولـ "ليديا"، ثم رفع رأسه ورأى أن "مارك" - وإن كان محبطاً - كان يعمل على إظهار حالة ارتياح وهو يستجوب "ستيفاني".

- ما الذي حدث؟

- لقد اختارتني المطربة التي قمت بتصويرها مساء أمس، وهي متمسكة بمرافقتي لها إلى "مارسيليا" حيث ستعمل مساء السبت والاحد والاثنين. لقد حجزت لي مكاناً معها في الطائرة - ومن أجل الدعاية الخاصة بها، طلبت مني أن أقوم بتصويرها في منزل والديها، فهي من مواليد ضواحي "مارسيليا". سوف نعود يوم الثلاثاء نحو الظهور على ما أتوقع.

ولما ظل "مارك" صامتاً، تدخل "جيلبير":

- جيد بالنسبة لك يا "ستيفاني" أن تعمل في المجال المسرحي.

سيعمل ذلك على ازدياد نسبة الزبائن مع شهرة كبيرة لأن صورك رائعة.
إذ إنك تمنحنيها طابعا جميلاً. كما أنك تجيدين تصوير الوجوه من
الزاوية التي تظهر ملامحها جيداً والنواحي المميزة لها!

فما كان من "مارك" إلا أن انطلق في الضحك مؤبداً رأي صديقه
حتى يخفي دهشته لهذه الظروف الفجائية؛ لأنه كان يرغب في قضاء
هذه الأيام الثلاثة معها.

— طالما ستتركاني فساكتفي بصحبة الأستاذ الإيطالي. والآن هيا بنا
نتوجه للعشاء!

وأثناء ما كانوا ينزلون السلالم، ذكرهم "جيلبير" بأن فيلمه الأخير
كان في سينما كبيرة في "شانزليزيه". وإذ رحبوا بالدعوة فقد أمضوا
سهرة مريحة. وأثناء ما كانوا يرتدون الملابس في القاعة، بحثت "ليديا"
في حقيبتها، وأخرجت منها بطاقتين ناولتهما للشايفين.

— ها هي بطاقات الدخول يا "ستيغاني" ملابس السهرة من
البديهي. بعد الحفل، كان "جيلبير" يجمع أصدقاءه ومساعديه في
الإنتاج عند "ماكسيم". هل سبق لك الذهاب إلى هناك؟

— مطلقاً. لكن والذي كان يصطحب "أورورا" كثيراً إلى هذا المكان
عندما يتواجدان في "باريس". لقد حدثني عنه كثيراً. آه! كم أنا
سعيدة.. شكراً لكما!

وكانت تبدي حماساً طفولياً يزيد من شباها. وإذ تأثر "مارك". فكر
مرة أخرى في هاتين السيدتين الجميلتين اللتين دعاهما إلى العشاء في
المطعم الفاخر الشهير، لكنه كان لا يشعر بالسرور الحقيقي. ها هو
يواصل هذا النمط من الحياة منذ قرابة شهر، لكنه شعر بأنه بعيد جداً
بالنسبة له. لاطف وجنة الفتاة قبل أن يساعدها على ارتداء معطفها.
رفعت رأسها وتلاقت نظراتهما في حديث أكثر بلاغة من كل
الكلمات.

وعلى عكس ما كان يتوقع "جيلبير" طالبت فترة تناول العشاء. إذ
كانت المائدة المجاورة لماذتهم يشغلها مخرج إيطالي كان "جيلبير" قد

تعامل معه قبل الآن بعدة سنوات. كان يرفقته زوجان وكانت الزوجة
سمراء رائعة وهي ممثلة كوميدية أيضاً تعرف "ليديا" جيداً. تبادلوا
حديثاً طويلاً باللغتين الفرنسية والإيطالية مع "ستيغاني" التي تحب
التحدث بلغتها. بعد ذلك أعاد "مارك" الفتاة إلى منزلها في ساعة
متأخرة من الليل. لاطفها في مودة وحنان، لمس قمع أذنها وكان صوته
بمثابة ملاطفة وهو يتمتم:

— يا وديعتي، يا "ستيغاني". إنك لا تتخيلين كم من الأحلام
راودتني! لا أجرؤ على سردها لك، بالرغم من المسرة التي غمرتني بعد
امتلاكي لهذه اللوحة الشهيرة.

ولما قبلها، بادلتها القبلة، لكن سرعان ما ابتعدت عنه وخرجت من
السيارة وكانت فرحة من نفسها. أطالت النظر إليه قبل أن تقول في
بساطة:

— إلى يوم الثلاثاء يا "مارك".

وأغلقت باب السيارة. أما هو، فقد مكث في مكانه، يدها متقلصتان
على عجلة القيادة، عاجز عن الحركة. لقد وثق الآن بحبه لها، كما أنه
أدرك أن هذا الحب متبادل، فهو يرغبها. وأصل طريقه وكان هناك شارع
صغير بمحاذاة الحديقة التي تقع خلف العقار وكانت تطل على حجرة
الفتاة وكذلك الأتيليه. رأى من خلال السياج النافذة التي يخرج منها
نور من خلال الستائر المغلقة. للمسرة الثانية قام بجولته وعندما تواجد
أمام النافذة، كان الضوء قد اختفى. لقد نامت "ستيغاني".

عاد إلى منزله وقلبه فرح. إنه يحب لأول مرة في حياته.



— أطلب منك يا "فيتوريو" أن تأخذ سيارتك وتنصرف بسرعة!

— لا. منرجل نحن الثلاثة.

أمام عناده وإصراره هذا، اضطرت أن تتكلم بهدوء، لكن — أمام نظرة
الشاب التي تمتلئ بالإصرار، ارتفع صوتها بسرعة.

الحب الذي يكنه لها "مارك". كم تمت، كم رغبت هذا الحب الذي مازالت غير مصدقة وجوده...

الفصل العاشر

يبدو أن الرياح والأمطار قد تواعدت مع عطلة عيد "القنوات المسلحة". كان "مارك" يتأمل من مكتبه - بنظرة كثيفة - اهتزاز الأوراق الميتة على خضرة الحديقة. شعر بعمق كآبة هذا المنظر الريفي وقت الخريف.

بعد أن فحص ملفاته، استمع إلى الموسيقى متأملاً لوحة "ليونارد دافنشي"، محاولاً إقناع نفسه بأنه في قمة السعادة. ها هو الآن - في هذا المنزل الكبير الفارغ - يواجه الوحدة.

لم يقابلها حتى هذا اليوم. لقد سمعهم يتحدثون عنها، لكنه كثيراً ما كان يردد أنه يتمنى الحصول - ولو لمرة في حياته - على ثلاثة أيام بكرسها لنفسه، حينئذ يتمكن من القيام بالعديد من الأشياء.

وها هو - بعد ثلاثة أيام وهو على انفراد مع هذه الوحدة التي طالما تمنّاها - ينتقل من حجرة إلى حجرة في حال برثي له.

اقتشع عندما سمع رنين التليفون. قد تكون "ستيفاني"؟ هل عادت "ستيفاني" قبل موعدها وهي التي تطلبه؟ إنه صوت مرح الذي سمعه من الطرف الآخر للخط.

- تحية طيبة يا صاحبي! لم أتوقع وجودك في المنزل. هل في إمكانك مقابلتك؟

- مستحيل! "جيل"...

- نعم! أنا في "باريس" لمدة ثمان وأربعين ساعة.

- تعال لأنني في غاية الشوق لرؤيتك.

- وأنا كذلك. سأخذ "تاكسي" وأحضر.

إنه أقدم زميل دراسة له في المرحلة الثانوية والـ "سابليك". درساً معاً،

- يا عزيزي، تفهم الموقف. إذا اختفينا كلنا معاً، فسيبدو ذلك عجبياً. وقد يدعو أيضاً للشك. يجب أن نبقى - هي وأنا - بعض الوقت في "باريس" بالنسبة لك، الوضع يختلف. هذا بالإضافة إلى أنني أشعت أنك تركتنا من أجل أعمالك.

- وما هي الأعمال التي من المفروض أنني أقوم بها؟

- لقد أعلمت "موجاندر" أنك ملحق تجاري في وزارة الشؤون الخارجية، قسم التصدير مثل المرحوم والدك.

حينئذ انطلق "فيتوريو" في الضحك:

- كم أن خيالك واسع!

وأصابت وهي تكاد تصيح:

- لقد سحبت مبلغاً كبيراً في فترة بعد الظهر، عندما أودعت الشيك. إنه لك. كما أنني أجريت تحويلاً على حسابك في "إيطاليا". أرحل إلى "روما" سالحق بك بسرعة. ومن هناك، سنذهب حيثما نشاء. - وهي؟

هكذا أتح في السؤال.

- لا تتوقع ما لن يحدث. لن تأتي معنا... إنها عاشقة، هذا بالإضافة إلى أنها تعزم إقامة مشروع في "فرنسا".

رفع كتفيه مستهزئاً، ورفع صوته أيضاً:

- مشروع تصوير! غبية، مسكينة! لكني أريدها وسأحصل عليها! سامكت هنا.

أرهفت "أورورا" السمع وقالت له:

- أسكت، هاتنا أسمعها. إنها هي التي عادت. لبتنا نتحدث عن أشياء أخرى وفي بشاشة.

اخترقت "ستيفاني" الدهليز المؤدي إلى حجرتها. وكان صوت زوجة أبيها المرح يأتي إلى مسامعها. لم تهتم له، بالرغم من أنها واثقة بأن "فيتوريو" أصبح بعيداً عن العاصمة، هذا لأنها معتادة التغيير المفاجئ لأفكار "أورورا" وأخيها. من جانب آخر، كانت الفتاة لا تفكر إلا في

ولم يفترقا إلا عندما سافر "جيل" إلى "الولايات المتحدة" حيث قام
ببداية عمل لأمع. وهو شاب لطيف، ذكي، ذو طابع هادئ، يتمتع
بروح الدعابة. لقد أتى هذا الصديق في حينه، في وقت مناسب. ولما
كان "مارك" متريفاً التاكسي، أسرع تحت المطر لكي يفتح. ثم أسرع
الشبابان إلى المنزل حيث تعانقا بحرارة، إذ إن لهما ثلاث سنوات لم
يلتقيا خلالها. ثم أخذ "جيل" يعطس بشدة.

— المذكرة، لقد أصبحت بنوية زكام حادة في هذا البلد.
— تعال معي إلى المطبخ. سأحاول أن أعد لك مشروباً دافئاً مع قرصي
أسبرين.

— أنت بمفردك؟ "أنا" ليست موجودة؟
— لحسن الحظ! لقد سافرت مع زوجها عند أسرتها. إنيهما من
"بورديو"، ومن البديهي أنها أعدت لي بعض الأطعمة الباردة قبل
رحيلها.

وفي المطبخ — بينما كانا يتناولان مشروباً ساخناً — تبادلوا سرد
الأحداث التي مر بها كل منهما منذ أن افترقا. فتكلم "مارك" عن
مصنعه الجديد في "بورتريكو"، الأمر الذي سر له صديقه كثيراً
و"جيل" وضع له المستقبل اللامع الذي ينتظره في الجانب الآخر من
الأطلنطي.

— إنك تعمل هناك، أليس كذلك؟
— نعم، هذا بالإضافة إلى أجمل مغامرة صادفتني هناك. أعد لي كوباً
آخر من هذا المشروب وأنا سأحككي كل شيء بالتفصيل.
من شدة فضوله، أسرع "مارك" بإعداد المشروب لصديقه وصبه قبل
أن يقول له:

— احك.
— اسمع يا صديقي، إني عاشق وسأزوج خلال شهر.
توقف لحظة قبل أن يواصل:
— أجمل وأكثر الفتيات نظارة في نفس المسكن. إنها من "تكساس"

وأنت إلى "نيويورك" لكي تعمل. كانت ترغب في الاستقلال. عندما
قررنا الارتباط اصطحبني إلى أسرتها، ولم تخبرني بأن والدها من أكبر
أثرياء "تكساس". فهو يمتلك أراضي تمتد إلى مسافات بعيدة وثروة
هائلة. إنه رجل خارق، زين، يرتدي طراز الـ "كايوبوي" ذي القبعة
العريضة. جعل لنفسه إقامة في قصر على طراز الـ "لوار" وهو يكس فيه
منحوتات ولوحات من كل القرون. هناك تشاهد لوحة لـ "ريجاس"
لـ "بيكاسو"، أيقونة روسية... إلخ. لديه عدد يكاد لا يصدق!

توقف لحظة عندما رأى أن "مارك" يبتسم دون أن يتكلم. وواصل:
— على أي حال لقد شاهدت مجموعات سواء من الأثاث أو اللوحات
الفنية في "الولايات المتحدة"، وكذلك في المتاحف أكثر من تواجدها
عند الأفراد. وأنت من تتردد علي صالات البيع، لا بد أنك على علم
بذلك! المشترون الأمريكيون دائماً هنا... والآن، معهم الأمر على ما
يبدو...

— نعم، بالتأكيد، لكن ليس دائماً، إذ يحدث أن تظل لوحة ما
جديدة نادرة في "أوروبا". إذا كنت انتهيت من تناول مشروبك، اتبعني
وتوقع الحصول على صدمة، هنا أيضاً!
ابتلع "جيل" ما تبقى من كأسه وتبع صديقه، الذي — فور دخوله
إلى مكتبه — أضاء المصباح الذي ينير لوحة "العداء والطفل".
لم تكن الستائر قد فُردت أمام النوافذ، ولما كان الليل قد أقبل وكان
الظلام يسود الحجرة، تألفت اللوحة بنور المصباح الموضوع تحتها. ذهل
"جيل" عندما شاهد هذا العمل البارز النادر.

فإذا به "مارك" يسأله:
— ما رأيك في وجود ذلك عندي؟
اقترب "جيل" في بساطة من اللوحة وهو مستمر في صمته. ثم تطلع
إليها طويلاً قبل أن يلتفت إلى صديقه الجالس بالحجرة المظلمة وقال
متردداً بعض الشيء:
— إنها... مقلدة، أليس كذلك؟

هنا فرع "مارك":

- أنت مجنون! إن الذي أمامك إنتاج أصلي! تقليد عندي أنا؟
وقد تذكر، أضاء "مارك" المصابيح الأخرى وشد الستائر. بدا "جيل"
مرتبكاً:

- آسف، لم تكن لي نية جرح شعورك. لكن...
ولما تردد في مواصلة حديثه، دفعه "مارك" إلى ذلك بأسلوب جاف:
- لكن، لكن ماذا؟ ماذا تقصد؟
ثم اقترب "جيل" مرة أخرى من اللوحة ونظر إليها عن قرب.
- لقد رايت مثلها بالضبط - منذ فترة ليست بعيدة - في "الولايات
المتحدة".

- وأين إذن؟ أفي إمكاني معرفة ذلك؟ من فضلك!
- عند من سيكون حمائي في المستقبل. صدقني لقد اشتراها منذ عام
بمبلغ ضخم.

جلس "مارك" في مقعده المفضل. وبإشارة عينٍ لصديقه مقعداً آخر
وأشعل سيجارة في عصبية.

- لقد عمل حموك على تقليدها.
- هذا يدعشني! لأنه عندما يشتري بمثل هذا المبلغ الخيالي، لابد أنه
يحصل على الضمانات الممكنة!
- من أين اشتراه؟ ومن؟

- في "إيطاليا". عن طريق وسيط. لكن التفاصيل التي لدي قليلة.

لقد تمت مفاوضات سرية والبائع يضمن كتمان والد خطيبتي.
حينئذ صمت "مارك". عجز صديقه عن الكلام بعد مشاهدته لما
أصبح عليه "مارك" من توتر واضح. وما كان من هذا الأخير في النهاية
إلا أنه نهض وخرج. وبعد هذا الفحص الأخير، بدأ الشك يتسلل إليه.
بعد قليل عاد "مارك" ومعه زجاجة شراب وكوبان وقطع ثلج.

- بعد أن شاهدت لوحتك أصبحت عاجزاً عن التفكير.
- استرح. صب لنفسك كأساً وامتنحي أكبر قدر من التفاصيل، أفي

استطاعتك ذلك؟ لاني - تخيل - قد دفعت فيها أنا أيضاً ثروة.

- كما ذكرت لك، ليست لدي تفاصيل كثيرة. إن الشخص الذي
من "تكساس" يعرف منذ عام أو عامين وسيطاً يدعى "كونتيني".
أو "بونيني"، إني متردد قليلاً في الاسم، كان قد سبق أن باع له لوحتين
من "المدرسة الفلورنتية" للمقرن السابع عشر. وإذا بهذا الشخص يأتي
ويخبره بأن أسرة عريقة إيطالية أفلست وترغب في بيع لوحة لـ "ليونارد
دافنشي" وكان الشرط الأساسي هو السرية التامة وعدم ذكر الاسم. أي
اسم البائع، حتى لا يكشف لقبه. وكما كان سرور حمي عندما شعر بأنه
سوف يقتني إنتاجاً لـ "دافنشي". وكان يقول "أصبحت مساوياً
للمتاحف". وفي الحال أخذ الطائرة إلى "إيطاليا" ومعه خبير متاحف
"نيويورك".

هذا بالإضافة إلى أن هذه اللوحة معروفة في الوسط الفني كله. وتمت
العملية واللوحة انتقلت إلى "الولايات المتحدة". هذا كل ما أعرفه.

تقلصت يدا "مارك" على مساند مقعده، ألح:

- وكيف - أو في أي حال - كانت هذه الأسرة؟

- أخبرتك بأنني لا أعلم شيئاً غاية ما في الأمر لقد تأثر لانها أسرة
تدور بها الحال. لم يحدثني إلا عن الزوجة التي بدت له مؤثرة جداً.
قال لي إنها مازالت شابة تليس السوداء، تتكلم قليلاً، هادئة. لكنه لم
يحدثني. عن باقي أفراد الأسرة...

- وهل للأسرة بقية؟ وهل كان هناك شخص آخر من أفرادها؟

- نعم اعتقد.

فكر "مارك" في أن هذا الوصف لا يتفق مع الكونتيسة "ماركتيني".
لكن إذا قصدت السيدة الاحتيال، ففي وسعها العمل على تغيير
مظهرها.

هكذا حدث نفسه.

- وأين كانت تسكن هذه الأسرة؟

- في "فينيسيا".

ساد صمت ثقيل لا يقطعه سوى حفيف أغصان الأشجار التي يحركها الريح. قطع "مارك" هذا الصمت بإسقاط قطع من الثلج في كوبه، ثم صب المشروب فيه وضغط عليه بشدة إلى أن أصبحت أصابعه بيضاء. ومن شدة قلقه، خشي "جيل" من أن يكسر الكوب.

وفي صباح اليوم التالي وكان الثلاثاء، كان "مارك" يرن جرس باب الكونتيسة. كانت الساعة العاشرة. فتحت له "كاترين" العاملة بالمنزل. وكم كانت دهشتها لرؤيته! ازدادت هذه الدهشة عندما طلب منها أن تحضر الكونتيسة بأنه يرغب في التحدث معها للأهمية. سألته وهي تسمح له بالدخول إلى الصالون:

- هل أنت على موعد معها يا سيدي؟

- لا. لكن لا بد أن يكون لي لقاء معها.

- آه! يا سيدي إن السيدة بالحمام وأشك في أنها قاطعها:

- أخبريها بأنني سوف أنتظرها مهما طال الوقت، وأني لن أغادر هذا المنزل دون أن أراها.

بعد لحظة قضاها في التفكير أضاف:

- وضحي لها أنه بشأن ما اشترته.

خرجت السيدة. وعندما عادت كان "مارك". يذهب ويجيء في الغرفة بخطوات عصبية.

- سيدتي تخبرك بأنه إذا كان لديك صبر لذلك، فعليك بالانتظار.

لقد فوجئت لأنها سألتني إذا كان التليفون غير معطل.

- لم أنصل هاتفياً. في إمكانك أن تخبريها بذلك. من جانب آخر،

هل تعلمين في أي ساعة سوف تعود الأنسة "ستيفاني" من "مارسيليا"؟

- سوف نتساءل عن ذلك يا سيدي بعد أخبار هذا الصباح الجديدة.

- أي أخبار؟

- ألم تسمع النشرة؟

- لا.
- هناك إضراب على الخطوط الداخلية. بعض الرحلات الجوية سوف تتم، وغيرها لا. بأي حال هناك ارتباك.

ودون أن ينطق "مارك" بكلمة، جلس "مارك" في مقعد عميق، شبك ساقيه وبدأ وكأنه لن يتحرك طوال اليوم إذا لزم الأمر، ثم - بمرور الوقت - تذكر نهاية السهرة مع "جيل" الذي كان قد حكى له قصة كسبه دون ذكر "ستيفاني" التي لم يشأ إدخالها في هذه القصة. إذ كان لا ينبغي أن تتدخل "ستيفاني" الوديع في أمور هذه الكونتيسة. ومع كل، هو الذي ألح في الحصول على اللوحة. إنها خدعة محبوكة قد دبرت لهذا الأمريكي التعيس.

كان لا يزال يسمع صوت "جيل" يقول له: "يا صاحبي - وإن كان هذا يضايقني أن أعمل على إزعاجه - سأتصل به بالتليفون. إنها الساعة مساء، أي أن هناك الساعة الآن الحادية عشرة صباحاً. رائع، سأطلبه".

وعندما اتصل "جيل" بالقاطن في "تكساس"، شرح له قصة اللوحين اللذين لـ "دافنشي". انتفض "مارك" - وكان قد أمسك بالسماعة - عندما سمع محدثهما ينطق باسم الخبير الأمريكي. فهو قطب عالمي في مهنته. أراد أحسن "جيل" إلقاء ضوء على الأمر لكنه رفض ذكر اسم الباعة، ومع ذلك أبدى استعداده لإرسال كل الأوراق الخاصة بأهلية وضمانات الخبراء بالبريد المستعجل. صور عن العمل الفني والورق الخاص بالجمرك.

قضى "مارك" ليلة صعبة، قلقاً، أخذ خلالها يدير الموضوع على كل جوانبه؛ لكي يتحقق منه، وفي النهاية قرر أنه لا بد من مقابلة الكونتيسة والحصول منها على تفسير لهذا الموقف.

ولما كان متعمقاً في مقعده، غارقاً في أفكاره، لم يسمع الباب عندما فُتح. وفجأة رآها أمامه، في فستان منزلي أبيض. وشعرها الأسود مسترسل على كتفيها.

- صباح الخير يا سيد "دي موجاندر" - ولما هم بالوقوف - ابق كما انت. يبدو أنك ترغب في مقابلي؟ وفي ساعة مبكرة هكذا. امر يدهشني. لا شك أنه أمر مهم. ما الأمر؟

كانت رائحة في حركاتها وكلماتها. اتخذت لها مكاناً، عملت على ضم ملابسها على ركبتيها في حركة رشيقة. ثم أخفضت رأسها، أبدت اجتماعة رقيقة وأعلنت:

- إني في الانتظار.

وكان "مارك" ينظر إليها. هل السيدة التي تجلس أمامه مثلة بارعة، أم سيدة صادقة، دهشة لحيته المبكر في ساعة تكرسها لزينتها؟

لقد عجز عن إيجاد أسلوب للبدء في الكلام. فما كان منه إلا أن فضل أن يسرد لها في بساطة، زيارة صديقه له والوكالة التلفزيونية التي تلت ذلك. وكانت "أورورا" تصغي إليه وذقتها مستند إلى يدها، مرفقها على مسند المقعد، ورأسها مائل كما هو، لكن شفيتها الآن أبدت حركة اشمزاز. وعندما انتهى "مارك" من سرد هذا الأمر، نهضت ببطء واتجهت نحو الباب.

- اسمح وانتظر لحظة قصيرة هذه المرة يا سيدي، الوقت اللازم لإحضار الدفتر الخاص بي للشيكات. من المفهوم أنني لا أعرف لا هذا الخبير الإيطالي ولا صديقك الأمريكي. وإذا كان هناك نسخة مقلدة للوحة "العذراء والطفل" تجوب العالم، لا أستطيع معرفة شيء عن ذلك. الآن ما عليك إلا إعادة اللوحة مقابل الشيك؛ لأنني لست قادرة على مقاومة شكك في نزاهتي.

ولما نظاهرت بالخروج، احتجزها.

- أرجوك يا سيدتي، عودي واجلسي ولنتكلم في هدوء كأصدقاء. يجب إلقاء الضوء على هذه القضية الغامضة. وللبدة في ذلك، علينا باستدعاء خبير. وأنا أعرف تاجراً خبيراً في اللوحات القديمة - شارع "أوتوريه" - وهو من أفضل الخبراء الفرنسيين. ثم إني في انتظار خبير الثامين الخاص بي. لقد تسرعت بل تهورت عندما تأخرت في استدعائه

قبل عطلة نهاية الأسبوع إذ كان المسؤول قد رحل، ولم يكن هناك أحد بالمكاتب.

أمام صمتها واصل:

- لكن كيف تمكن أحد الزيفين - وللأسف يوجد منهم عديدون - من تقليد لوحتك؟

- ليست لدي أي فكرة. ربما عندما كانت في بنك التسليف؟

لكنها كانت في صندوق مغلف. من الممكن احتمال التواطؤ في هذه الأماكن. أترك لك يا سيد "دي موجاندر"، حق التصرف في كل شيء. المصدرة - رفعت يدها إلى جبينها - أشعر بالتعب، لقد ارتبكت. عندما أفكر في أن صغيرتي "ستيفاني" ستصل والسعادة تغمرها لفكرة أنها ستقضي سهرتها عند "ماكسيم" هذا المكان الذي كثيراً ما تناولت فيه العشاء مع زوجي.

هكذا أضافت وفي صوتها حنين للوطن.

مرة أخرى، أصبحت "أورورا" السيدة الثالثة، الفرعة تماماً كما في يوم البيع.

والآن وقد اقتنع "مارك" بأن الشخص الساكن "تكساس" وقع فريسة عصابة، أمسك بيدها وقال:

- اهدئي. لا داعي لأن نززع "ستيفاني". لن نحكي لها إلا المضمون اللازم. هل في إمكانك استخدام دليل التلفزيون؟

أشارت له - بحركة مراخية - إلى أثاث موضوع عليه التلفزيون. وفي الوقت الذي أخرج منه "مارك" ما يرغبه، ففتح باب الصالون. ألقت "أورورا" نظرة من تحت أصابعها التي تسند جبينها للمشاكل أو الذي كانت تبدي أنه كذلك. وبعد أن حصل "مارك" على رقم، طلب الخبير الذي يقصده. ردت عليه سيدة ذات صوت مرح:

- صباح الخير يا سيد "دي موجاندر". أسفة جداً؛ لأنه يبدو لي أنك لن تتمكن من مقابلته اليوم؛ لأنه في "تيس" حيث كان قد توجه في مهمة. وها هو قد احتجز بسبب الإضرابات. لقد اتصل بي منذ قليل.

وهو يأمل الحصول على قطار مساء اليوم. وبأي حال سيكون هنا غداً.
سوف يتصل بك فور وصوله.
أخفض "مارك" سماعة التليفون وأحاط الكونتييسة علماً بمضمون
المكالمة.

— ليس لدينا ما نقوم بتنفيذه اليوم يا سيدتي. ليس في استطاعتنا إلا
الانتظار إلى الغد، والتذرع بالصبر ورباطة الجأش — هكذا أضاف عندما
رآها في حالة فرح — والآن أتركك. وعندما تصل "ستيفاني" اطلبي منها
أن تتصل بي في مكتبي. أتعشم أنها تعود من أجل سهرة هذه الليلة.
إن هذا الإضراب أربك كل خططنا. إلى اللقاء يا سيدتي.
وعندما غادر المسكن، كانت "أورورا" قد وصلت إلى أقصى حدود
الثورة. وحينئذ دخل "فيتوريو" وابتهامته الساخرة يادية في زاوية فمه
كمادته.

— وكنت ترغبين في أن أسافرا يجب أن تسري لتواجدي هنا...

— هل سمعت كل شيء؟

— نعم، لقد وارت الباب عندما ابتعد هذا الشخص السخيف لكي
يتصل بالخبير الذي يعرفه. إنني أعرف هذا الشخص لأنه مشهور. إنه
شخص واثق بنفسه. فهو كثيراً ما لا يحتاج إلى أشعة "إكس" لفحص
اللوحات، وكأنه يشتم المزيفة منها. مباركة هذه الموجة من الإضرابات
التي منحتنا ليلة كاملة للتصرف.

أخذ يتجول في الحجرة وهو يعض على إبهامه، وهي حركة مألوفة
لديه عندما يفكر. وكانت "أورورا" تنظر إليه، وقد عاودتها حالة
الاستقرار. كانت قد خشيت ما هو أسوأ. وأخيراً توقف.

— هكذا ينبغي أن تصرفني. أولاً، اسحبي مبلغاً ضخماً من البنك.
وحولي ما تبقى على حسابي في بنك إيطالي. أخرجني مجوهراتك من
خزانتك. المرحلة الثانية، اعلمي على ملء العربة بأكبر عدد من
الحقائب. ثالثاً، لا تتحركي من هنا بعد عودتك من البنك. تصرفني
بحيث ألا تلمح الغيبة الأخرى شيئاً إذا عادت قبل الليل. لا تحدثيها عن

رحيل مفاجئ، إذ قد تكون كفيلة بالإسراع بنقل المعلومة إلى صديقها.
ضعي الحقائب في حجرتي. بحسب رأيي قد تأخذ القطار إن لم تجد
طائرة، وبذلك تصل إلى هنا نحو منتصف الليل على الأكثر.

— هل ترغب في اصطحابها؟

— من البديهي!

— لكنها لن تقبل ذلك أبداً!

— بل، سوف تقبل. لن يكون في وسعها التصرف بخلاف ذلك.

قال هذا وهو يضحك ساخراً ثم أضاف:

— وستكون لي هذه الجميلة المدعية التي كثيراً ما تحتقري!

أقشعرت "أورورا" أمام النظرة الهادئة التي تقسّت فجأة... ثم متجها
نحو التليفون، أضاف:

— لحسن الحظ أنني أعرف بعض "الخبراء ذوي خبرة" في "باريس"،

لكن في مجال بعيد عن الرسم....

الفصل الحادي عشر

إن الرياح والمطر تركا الخيال لبرد قارس في هذه الفترة من العام. وكانت
النساء هن اللاتي يبتهجن لهذا الفصل من السنة، إذ إن في إمكانهن
التدثر بقرائهن الفاخرة، ربما من أجل مظهرهن أكثر من أن يكون من
أجل راحتتهن ودفئتهن. كان جمهور غفير يتزاحم أمام السينما حيث
كان فيلم "جيلبير" سيعرض للمرة الأولى. وكان رجال الشرطة يقومون
بالخدمة، والمتسكعون يتزاحمون حول النجوم وشخصيات العرض وهم
يدخلون إلى الصالة الفاخرة المزدانة بالنباتات الخضراء والزهور.

كان "مارك" و"ستيفاني" يسرعان الخطى. ولما كان قد وجد مكاناً
بعيداً يركن فيه سيارته في شارع مجاور لـ"الشانزليزيه"، أصبح الطريق
الذي سيقطعانه طويلاً. أمسك بذراعها، لكن بالرغم من چاكيت الفراء
الطويل الذي كانت ترتديه، كانت تشعر بالبرد، فضمها إليه.

تذكرت الفتاة حينئذ الثنائي الذي تتبعته خطواته على نفس هذا الشارع عند خروجها من "بينالي". كانت تحب "مارك" سرّاً في هذا المساء وكانت تحلم بالتزوّج هي أيضاً بالقرب من الشاب الذي لم تكف عن التفكير فيه. وها هو حلمها قد أصبح حقيقة! ولما شعرت بأن قلبه يفيض حناناً، التصقت به أكثر، وهي تتأمله، وتسير إلى جانبه. عندما شعر "مارك" بأنه مراقب، حول وجهه نحوها وابتسم ضاعطاً أكثر على ذراعها.

كانت "ستيفاني" قد استفادت من مناقشة بين المصيرين والتقاطات في مطار "مارسيليا" حيث لم يصل أحد إلى اتفاق، وهناك قامت بعض الطائرات برحلات. وبذلك وجدت مكاناً في طائرة هبطت في مطار "أورلي" في الساعة الخامسة من بعد الظهر. وبعد ذلك أسرع إلى العودة لكي تستعد، ثم اصطحبها لتناول وجبة خفيفة قبل العرض، وكان منها أن سألته حينئذ مزيداً من التفاصيل عن إنتاج "دافنشي"؛ لأنها لم تفهم تفسير "أورورا" المشوش. كما أن زوجة أبيها كانت قد بدت مضطربة وحزينة.

وبالرغم من أن الكونتيسة لم تبد في ضيق منذ فترة طويلة ولم تكن "ستيفاني" تهتم كثيراً لذلك، كانت الفتاة في هذه المرة تشعر بأنه لا بد أن يكون قلق زوجة أبيها مرتكراً على أمر مهم.

وكان "مارك" قد أسرع إلى طمأننتها، مؤكداً لها أنه لا بد أن يكون في الأمر شيء غير واضح، وأن الخبراء سيكشفون عن الموقف من صباح اليوم التالي. ومع كل، لم يكن في وسعها - هذا المساء - إلا الاستسلام إلى متعة اللقاء وقضاء سهرة ممتعة، هكذا ختم وهو يقبل أطراف أصابعها في حرارة. وبالرغم من كل هذه العبارات المطمئنة، كانت "ستيفاني" تشعر بضيق لا يوصف وكان أمواجاً شريرة تحوم من حولها.

نال الفيلم إعجاب المشاهدين الذين صفقوا له طويلاً. كما أنه قد التقطت صور عديدة لـ "جلان" من كل الزوايا قبل أن يختفي محبّوه،

لكي يلتقوا على العشاء الذي عمل على تقديمه لهم. وكان مطعم "ماكسيم" ذا سحر يأسر رؤاده منذ دخولهم. كانت المائدة المهجوزة مزودة بباقات زهور فاخرة. وعشرات المدعوين كانوا في انتظار الممثل الذي وصل أخيراً مع "ليديا" محاطاً بالصحفيين الذين قاموا بالتقاط أكبر عدد من الصور قبل أن ينسحبوا.

كانت السهرة سارة وانتهت في ساعة متأخرة من الليل.

ثم قبل أن يتفرقوا، هنا الجميع "چيلبير" الذي أعلن:

- إنكم حقاً غاية في اللطف، لكن بالنسبة لي، أنا في انتظار الصحافة وعدد العروض منذ اليوم الأول، لكي أبتهج!

قال "مارك" مؤكداً:

- سيكون نجاحاً أكيداً.

- بالنسبة لك، أراك ترى الأمور من الجانب المشرق منذ أن عرفت

الحب!

وإذا بأحد الأصدقاء يصبح عندما سمع هذه الكلمات:

- أه، هذا هو سر اختلافك في الأسابيع الأخيرة!

حينئذ تحولت أنظار المدعوين نحو الثنائي. وكان "مارك" - وهو ممسكاً دائماً بذراع "ستيفاني" - يبتسم ابتسامة تدل على الزهو والسعادة.

ها هما الآن في طريقهما إلى حي "تروكاديرو"، وكان الفجر قد بدأ يلوح وإن كانت الليلة مازالت مظلمة.

وكانت المدينة تستيقظ ببطء. أراد "مارك" أن يركن سيارته بجوار سور منزل "ستيفاني"، لكن كان المكان قد شغل. تقدم قليلاً وركنها. تعرفت "ستيفاني" على BMW التي لـ "فيتوريو" وكانت تظنه بعيداً عن "باريس"؛ فاعتراها الضيق الذي كانت تعاني منه في بداية السهرة. أحسّت بالحاجة إلى حماية، فالتصقت بحاشتها بـ "مارك".

مال هذا الأخير على وجهها، ثم قبلها. عمق النظر في عينيها وقال أخيراً:

- لقد شعرت في الأيام الأخيرة هذه بأنني كم أرغبك كثيراً، وليس ذلك فقط بل إنني أحبك، يا حبي، يا وديعتي، يا جميلتي "ستيغاني". أترغبين في أن تنزويني؟

أمالأت رأسها على كتفه. اقشعرت وهي تتمتم:

- إنني يا "مارك" ملك لك منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها.

في غمرة سعادته عمق الشاب رأسه في شعر الفتاة، وضمها إليه بحرارة.

وعندما افترقا، لم يكن النهار قد أشرق بعد. عمق النظر في عينيها ثم قال لها:

- ادخلي الآن يا عزيزتي، استريحيني. لدي اليوم أمور كثيرة في حاجة إلى تنظيم.

ولما كان صعباً عليه أن يتركها، رافقها إلى بابها، وتبادلا قبلة أخيرة.

وقبل أن يركب سيارته، لمح أن بالـ BMW حقيبة سفر وحقيبة أخرى تحتلان المقعد الخلفي. ثم قاد ببطء وهو يفكر في المستقبل الذي يتطلع إليه تحت أفضل تمهيات، دار حول منزلها كما سبق أن قام بذلك، في تلك الليلة التي كان يسعى فيها - بدافع رغبة ملحة - إلى مشاهدة نافذتها وهو يسخر من تصرفه الرومانسي هذا. لم تكن السائتر قد فردت بعد وكان النور يغمر الحجرة. من البديهي إنها ولجت إليها. وما رآه جعله يسرع إلى سباح الحديقة. لقد تقلصت يده على قضيب صغير. لقد رأى شاباً على ما يبدو. إنه كان ممدداً على السرير، نهض، أخذ "ستيغاني" بين ذراعيه، وقادها بعيداً عن النافذة، التي عاد إليها في الحال. ميز "مارك" حركة الكلمات على شفثيه وفجأة رآه يلقي بنفسه إلى الخلف وكأنه يهتز من تأثير ضحكات مجنونة. ثم أسدلت الستائر الثقيلة.

وقف الشاب مذهولاً. وأخيراً بخطى مترددة، عاد إلى سيارته وألقى بنفسه على مقعده.

نهض "فيتوريو" عن سرير "ستيغاني" حيث كان ممدداً قاتلاً:

- لقد حان الوقت لعودتك.

وقد عقدت الدهشة لسانها، وقفت الفتاة في مكانها أمام النافذة. ها هو نور الفجر قد أيقظ الإيطالي الذي كان ينعس في انتظارها. أمسك بكتفيها بشدة ودفعها نحو صوان كبير.

- أعدّي حقائبك. اثنين ليس أكثر! وبسرعة.

- لكي نتوجه إلى أين؟

عاد إلى النافذة وهو يواصل كلامه:

- إلى "بلجيكا" أولاً. إنها أقرب حدود. وبعد ذلك نعمل على

التوجه إلى "إيطاليا"، قبل أن نذهب إلى أبعد من ذلك.

- إنك مجنون تماماً. أخبرك بأنني مخطوبة، وإذا ما واصلت ملاحقتك

لي، أعلنك بأنني سأغادر هذا المنزل اليوم ذاته.

- مخطوبة؟

وأطلق إحدى ضحكاته الساخرة العنيفة. شد الستائر بحركة جافة.

في نفس اللحظة دخلت "أورورا" وكانت ترتدي "تاير" للسفر.

- الآن استمع لي يا "فيتوريو". لقد تأخرنا يجب أن نرحل. لقد تمت

الأمور على خير وجه، والآن هات تفقد وقتك هباءً. لقد أخبرتك

بأنها لن تقبل اتباعنا. ثم ها هي مخطوبة!

أجاب "فيتوريو":

- لن تطول مدة خطوبتها. انتظري قليلاً إلى أن يوجه خطيبها إلى

نفسه عدة أسئلة بشأن عائلة "ماركتيني دي بروسو"، الأسرة العريقة

ذات الأصل الإيطالي... وسرعان ما ستتهز تلك الخطوبة!

ثم ملفتا إلى الفتاة التي كانت تنفرس فيه، شاحية، غير مدركة شيئاً من الموضوع:

- يجب أن تتبعينا يا قلبي وبسرعة. أمامك ثلاثون دقيقة. ساعتني

بيدي.

صاحت بصوت مرتجف، كانت تعمل على جعله قوياً:

- لا! سامكت هنا! لقد قمتم بحركة جريئة لا أدرك تفاصيلها

ولكنني بدأت أستنتجها. سأفهم مع "مارك":

عندما تحقق الإيطالي أنها لن تقتنع بأي حجة، قذفها قاتلاً وقد شحب وجهه:

- حسناً، امكثي هنا يا غبية! لكن صديقي، سوف تندمين، وسوف تبكين دوماً؛ لأننا سنباعد عنك بعيداً جداً! وبما أننا في غاية الظرف فسنترك لك اللوحات المعلقة على الحائط كلها. وهنا أخطرك: كلها مزيفة مثل لوحة "دافنشي". لقد قمنا ببيع اللوحات الأصلية. لحسن الحظ، لقد وجدت رساماً ذا مهارة جهنمية في التقليد والتزييف. وللأسف لقد توفي، مبكراً عليه من "رجال الأعمال" مثلي.

قبل أن تغادر الكونتيسة، التفتت نحو "ستيفاني" التي كانت لا تزال واقفة أمام خزانة الملابس. ألقت إليها نظرة خاطفة. أخفضت رأسها وتمتمت:

- اللوداع يا صغيرة - اغفري لي و... حظ سعيد.

بالقرب من أملاك "مارك" كان "كورودون" من رجال الشرطة يقطع الشارع المحيط بغابة "بولونيا". وكانت سيارة رجال مطافئ تشق لها طريقاً في لحظة وصوله. وإذا فوجئ توقف وعندما ابتعدت عربة النقل الحمراء، واصل طريقه وإذا برجل يوقفه بإشارة من يده ومال على الزجاج مشيراً له إلى بطاقة ضابط شرطة. سألته:

- هل أنت تسكن هذا الشارع يا سيدي؟

- نعم، أنا "مارك دي موجاندر"، منزلي الخاص هنا. ما الذي يحدث؟

لم يجبه الرجل، بل تفرس في "مارك" لحظة، انتصب وأشار إلى رجال الشرطة الذين تفرقوا. تقدم الشاب. كان سور المنزل مفتوحاً، أشخاص عديدون يدوسون الخضرة المغطاة بحطام زجاج يصدر صوتاً تحت الأقدام أثناء السير عليها. وكانت سيارة شرطة سوداء وسيارة أخرى تركن أمام المدخل.

نظر المفتش العام "مونييه" إلى الشاب الذي يتقدم نحوه بسرعة. وكان

المعطف الذي يضعه على كتفيه لا يخفي جيداً بدلة سموكينج أنيقة وإشارب حريري أبيض واضحاً في الضباب.

وبعد ما قدم له بطاقته. سألته:

- السيد "دي موجاندر"، على ما اعتقد؟

- نعم.

- مفتش مباحث "مونييه".

بدأ "مارك"، وكأنه لم يسمعه. كان ينظر إلى واجهة منزله وفجأة انصرف جرياً ودار حول المبنى، لأنه فزع إذ شاهد - ليس فقط عدم وجود الألواح الزجاجية - الحائط المحيط بتوافذ مكتبه قد علاه السواد إثر بداية حريق. استمر في عدوه، ثم عاد إلى المدخل الذي دخله بأسرع ما يمكن، تقابل مع "أنا" وهي غارقة في دموعها في الصالة.

- آه سيدي "مارك"! شيء فظيع. إنها غلطتنا. لم نعد في وقت مناسب لحراسة المنزل...

مسحت عينيها.

- إنه بسبب الإضرابات...

كف عن الاستماع إليها؛ وأسرع إلى اعتلاء درجات السلم الرخامي ودخل إلى الدهليز. توقف دهشاً. مكتبه خال من كل الأثاث الذي كان به، وجزء من حجراته مهدم. أما عن لوحة "ليونارد دافنشي" فلقد اختلط رمادها - من البديهي - بالرماد الذي يكتسحه الريح.

ثم لحق المفتش بالشباب الذي وقف صامتاً، جامداً في مكانه وقد سحقه الأسى. أمسك بذراعه وقاده نحو الصالون الصغير.

- إن هذه الحجرة سليمة، لم يمسها سوء. لقد سمحت لنفسني بالجلوس فيها مع زميلي. لقد أدركت ما قد حصل، أليس كذلك؟ إنها قنبلة صغيرة زمنية هي التي أدت إلى هذا العمل. لحسن الحظ لقد وصل الخدم في بداية الحريق، ومن المحتمل - وهو أمر بديهي - أن بدوهم تهدم العقار كله أو على الأقل جزءاً.

صمت لحظة قصيرة: سيد هذا المكان صامت، جالس في مقعد ذي

مساند ويبدو أنه لا يسمعه.

— ومع ذلك منزلك تحت الحراسة. لا شك في أن القاتم بهذا العمل على دراية تامة بنظام ووضع الحجرات، ولابد من أنهم اتجهوا مباشرة نحو باب مكتبك بالرغم من أنه مخفي. الحجرات الأخرى لم تفتح، هذا ما شاهدته في البداية. آه. تفصيل آخر، لقد قطع خط تليفونك. الحبرني، هل كان بمكتبك وثائق مهمة؟ هل لك أعداء سياسيون أو آخرون؟

وهكذا واصل الاستجواب في هدوء وصبر منتظرا في كل مرة ردًا ولا يجده؛ لأن "مارك" مازال تحت تأثير الصدمة، فهو يخشى وجهه بين يديه. انتصب عندما سمع صوت "أنا". لقد دخلت حاملة زجاجة شراب وكوب. حاولت مرة أخرى أن توضح موقفها.

— سيدي، عندما فهمنا أننا لن نحصل لا على طائرة ولا قطار من "بورجو"، اضطحبنا شقيق زوجي بالسيارة. لقد وصلنا إلى "باريس" حوالي الساعة الواحدة صباحًا. رأينا اللهب و...

— اهدئي، اهدئي يا "أنا". إنك غير مسؤولة عن شيء في هذا الأمر، أعلم ذلك تمامًا. أحضري كوبين آخرين للسيدتين وكفي عن البكاء.

ارتشف رشفة من المشروب وشعر بأنه استعاد إلى حد ما رباطة جأشه ثم نهض. موضوعاً لرئيس المباحث:

— إنني أكرس أكبر فترة من وقتي لمصانعي. أنا لا أهتم بالسياسة. كما أنني على علاقة طيبة مع نقابات العمال. ولا وجود للمظاهرات عندنا ودائمًا أستمع إلى تصحيح الأخطاء.

ليس لي أعداء. وكان لي في هذا المكتب عمل فني كنت أعتبره نادرًا، غير أنني لاقيت شكًا في قيمته. لم يكن الحبير قد فحصه بعد، ولا يبقى منها سوى قليل من الرماد وللأسف لقد حملته الريح. أضاف ذلك باليسامة مرة.

— هل تشك في شخص ما يا سيد "موجاندر"؟

لا شك في أن رجل الشرطة لاحظ محدثه قبل أن يجيبه:

— هيه... لا...

وفي هذه اللحظة، دخل ضابط شرطة:

— سيدي. معلومة بالراديو، من السيارة. إن محاولة الاعتداء تمت المطالبة بحققها من "أخبار الحرية والمساواة للجميع".

اتسعت حدقتا عيني السيد "موني":

— ما هذا؟ ما حدث ينهض بأعلى مستوى الرفاهية! شكرًا علي أي حال. هل تعلم يا سيدي أن هذه الجمعيات المستترة عملية جدا من أجل المسيئين. إنهم يلصقون أي شيء على ظهر أي شخص كان ويعملون على التشويش على بداية البحث. لدينا نحاول إلقاء ضوء على الأمور، لنرى...

اضطر إلى التوقف عندما شاهد الصحفيين والمصورين الصحفيين الذين اقتحموا المنزل الخاص.

الفصل الثاني عشر

عندما سمعت "ستيفاني" الباب يغلَق بشدة، ظلمت جامدة لم تحرك ساكنًا، وكان الصدمة التي لاقتها قد شلت حركتها.

ثم رفعت يدها إلى جبينها ببطء، رافعة شعرها النازل على جبينها وتوجّهت — مشية النظر — إلى الصالون. هناك رفعت سماعة التليفون وكوّنت رقم "مارك"، ولصقت أذنهما على السماعة.

أجابها صمت رهيب... أخفضت السماعة، أعادت الأرقام مرة أخرى على القرص وانتظرت وقلبها يخفق... الصمت دائمًا.

ما الذي يحدث؟

أعادت الآلة في مكانها من جديد وكان بداية خوف بلا سبب تملكها. ذهبت إلى حجرتها وألقت بنفسها على سريرها. بدا لها وكأن الحجرة تدور بها. كل شيء كان يتحرك من حولها حتى سحقها التعب، ثم غفلت وراحت في حالة أشبه ما تكون بعدم الوعي. لقد راحت في

نعاس عميق.

صوت قرع على باب المدخل جعلها تقشعر. فتحت عينيها، استيقظت بصعوبة.

الآن ها هو أحدهم يقرع الباب بشدة قبل أن يرن الجرس. جلست على السرير، نظرت إلى ساعة يدها، هل هي حقاً الثامنة صباحاً؟ نهضت، شدت فستانها المكرمش وأسرعت لفتح الباب.

إنه "مارك" الواقف على العتبة، وقف ينظر إليها دون أن يبدي أبسط حركة. وكان واضحاً أنه لم ينم طوال ليلته لأنه كان لا يزال لايساً "السموكينج"، وكذلك لم يحلق ذقنه. كان شاحباً. وفجأة أبعد الفتاة ودون أن يترك لها الوقت لكي تنطق بكلمة، دار حول المسكن تبعته دون أن تفهم، شاردة. وعندما دخل إلى حجرتها، أسرعت إليه فأنحه له أحضانها. غير أن نظرتة الجامدة، الثلجية، القاسية، أوقفتها. أبدى ابتسامة عصبية وقال بنبرة مرة:

- عصفوران من ثلاثة طارا. لا شك في أنهما تركاك هنا؛ لكي تهدئي الشخص السخيف الذي أنا هو؟ غير أنك أخطأت يا جملتي إذ إنك لم تغلقي ستائر فود دخولك إلى هنا. لقد قمت بالمرور حول منزلك مثل طالب مراقب في المرحلة الثانوية؛ لكي ألمح نافذتك للمرة الأخيرة ولسوء حظك، رأيته بين ذراعي عشيقك. لقد شاهدته يضحك، هذا النذل! لا شك أنه يسخر مني! وهو على حق فهناك ما يسخر منه!

- "مارك" اسكت أرجوك. أتوسل إليك دعني أوضح لك الامر! اسمعني...

- آه... لا أنت من ينبغي أن تصغي إلي. إنكم موهوبون أنتم الثلاثة. أكاد أعجب بغريقتكم: الفتاة الوديعه الطاهرة التي تستخدم قطعهم، الكونتيسة الإيطالية الشاذة غريبة الأطوار، والأخ الصغير الظريف، لأن الغبي الذي هو أنا - يا صغيرتي - يدعى "الحمامة"...

حمامة تدعهم يصورون أركان منزلها... ومن؟ من فتاة رائعة، حمامة

تشتري، وتحمل اللوحة الثمينة قبل وصول خبير التأمينات، تاركاً بذلك فرصة التصرف للأشرا المنتشرين. كما أنني أرى في زوجة أبيك، هذه العنكبوت التي تنسج خيوطها حولها لكي تمسك بحشرة ما! وما هي قد نجحت هذه السيدة الشريرة!

- "مارك"، أرجوك، دعني أتكلم...

هكذا توسلت "ستيفاني". المسكينة وفي صوتها نحيب. لكنه أخذ يصيح:

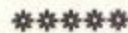
- اسكتي، اسكتي إذن! أينها البريئة، من نشأت في مدارس الداخلية الراقية. لكنه شيء مضحك! شيء لا يصدق! أن أدعهم يخدعونني. من أجل ذلك لا يسعني إلا أن أصفك بأنك ممثلة بارعة.

ثم ممسكاً بكتفيها، جذبها إليه وكان - بالرغم من كل ذلك - يرتجف من الرغبة والحب وقبلها بعنف. ثم - ضاعطاً على ذراعها - أبعداها عنه وقال في ازدراء:

- كان في وسعي أن أجعلك لي لأنني دفعت فيك مبلغاً كبيراً.

لكني كنت سأحتقر نفسي أكثر من احتقاري لك!

ثم غرس أصابعه المتقلصة في بشرة ذراع الفتاة النضرة، واستمر في هزها بلا شفقة، وفجأة دفعها بشدة. تراجعت المسكينة إلى الخلف وهي في شبه عيبوبة. تعلقت كعب حذاءها بفستانها الطويل، فتعشرت وانهارت ووقعت أمام سريرها أشبه بحيوان جريح موشك أن يموت. أما مارك فقد غادر المكان دون أن يلقي إليها نظرة.



وكان قد حدث في هذا الصباح أن "كاترين" عندما وصلت كعادتها لمزاولة عملها وجدت باب الشقة موارباً. كم كانت دهشها التي تحولت إلى قلق أمام منظر الحجرات والسكون السائد فيها. على المقاعد ملابس متناثرة، الدواليب مفتوحة، حقيبة فارغة ومفتوحة موضوعة في أحد أركان الغرفة، أوراق ممزقة تملأ سلة مهملات، أواني وجبة تملأ حوض

المطبخ. كل ذلك كان يمنح إحساساً بالإهمال والهرب الفجائي على عجل.

وبماوصلتها تفحص الشقة، أطلقت صرخة عندما دخلت إلى حجرة "ستيفاني" ووجدتها ملقاة أمام السرير. جثت على ركبتيها، حوطتها بذراعيها، وعندما عملت على إبعاد شعرها الكستنائي الجميل الذي كان يخفي وجهها، أفاق "ستيفاني" في أنين، غير أن عينيها كانتا مغلقتين، وألقت برأسها على كتف "كاترين".

- آنسة "ستيفاني"، ماذا حدث؟ ماذا بك؟!

ولما لم تحصل منها على إجابة، عملت "كاترين" على إسنادها إلى السرير، وأسرعت إلى المطبخ. وما هي إلا لحظات وعادت معها قذح من القهوة الساخنة.

- اشربي هذه القهوة يا آنسة! لكي تستردي صوابك. ماذا بك؟

أي جزء من جسمك يؤلك كلميني. إنك تبعثن بالخوف في نفسي! أخيراً فتحت "ستيفاني" عينيها، بنظرات زائغة، قبل أن تنزل منها دمعتان على وجنتيها. ليس من تحيب يطمئن، ولا من دموع مهمة تهدئ، فقط دمعتا يأس. ودون أن تتكلم، وجهت إلى السيدة نظرة عرفان بالجميل وتناولت القذح. بدأت تشرب على جرعات صغيرة وهي تثبت النظر أمامها. وكانت "كاترين" تراقبها في صمت. تناولت القذح الفارغ وانجهت نحو دورة المياه وفتحت الحنفيات. ثم عاوت الفتاة على خلع ملابسها والدخول إلى الحمام. ثم بعد فترة قضتها في حمام ساخن، قالت "كاترين" بصوت خافت وهي تناولها برنس.

- آنستي.. ماذا في إمكانني أن أقدم لك؟

أبدت لها "ستيفاني" ابتسامة ضعيفة.

- شكراً يا "كاترين"، لقد منحنتي الدفء والصدقة، في الوقت الذي كنت أتمنى فيه أن أموت وحيدة مع آلامي. لقد منحنتني أيضاً شجاعة. ساعدتني على مغادرة هذا البلد. عليك - أثناء ما أعد حقائبي - أن تتوجهي إلى إحدى وكالات السفر، لكي تبحثني لي عن

مكان في قطار المساء المتجه إلى "فينيسيا". وعندما تعودين، سنعمل على مشاهدة ما بقي في الشقة.

عندما انصرفت الفتاة، نظرت إلى دليل التليفون وطلبت أحد تجار الأشياء القديمة لكي يأتي على الفور لشراء كل ما هو قابل للبيع، بما فيها آلات التصوير الخاصة بها. كما أنها طلبت أيضاً مدير العقار، أخبرته برحيلها.

وعند عودة "كاترين"، كانت حياتها مع "باريس" قد انتهت. لقد أعدت حقيبتين ضخمتين.

- أعيدني للمفاتيح إلى المدير يا "كاترين". وكل الملابس التي تركتها وكذلك ملابس زوجة أبي التي بالدواليب فهي لك مع كل الفراء الموضوع على السرير.

- آه.. شكراً يا آنستي...

- لا تشكريني، إنك الصديقة التي تبقت لي هنا.

فوجئت الفتاة بتغير صوت "ستيفاني" التي كانت تتكلم بلهجة غير مبالية.

- الساعة الآن الثانية عشرة، لبتني احضر ما اتناوله للغداء.

هكذا اقتربت.

- إذا شئت.

وإذا بـ "كاترين" تعود ومعها صحف وضعتها أمام "ستيفاني" الجالسة أمام مائدة المطبخ. عناوين ضخمة في الصفحة الأولى، بالتأكيد: "تدمير البلاستيك في هذه الليلة في منزل خاص لأحد رجال الصناعة الأثرياء الشهير في باريس". يليه للمقال: "لم يؤد الانفجار إلى خسائر في الأرواح، لكنه تسبب في خسائر مالية ضخمة. لقد دمر مكتب 'مارك دي موجاندر' تماماً مع بداية حريق. إذ إن الآلة المستخدمة كانت ذات قوة هائلة.

ولم يُعثر على أي آثار ولا أي كتابة على أماكن الانفجار الذي تم دحضه عن طريق زمرة صغيرة من رجال الشرطة وبات الفاعل مجهولاً

حتى يومنا هذا". وكانت تزين المغال صورة كبيرة لـ "مارك". ساحراً، مبتهماً، أنيقاً كمعادته، كان في هذه الصورة بصحبة فتاتين جميلتين على مساحة سياق "دوقيل". كانت الصورة التي للشباب الثري الذي يتردد على جميع الأماكن الحديثة. فحصلتها "ستيفاني" طويلاً، قبل أن تضع الجريدة، وبدون تعليق.

ثم أردفت:

— اجلسي يا "كاترين". إني في انتظار مشتر لثاني، في الثانية بعد الظهر.

وصل البائع بعدما تناولنا الغداء. قبلت "ستيفاني" عرضة دون أي مساومة. وقام التاجر مع مساعده بنقل الأثاث، وكانت هي في هذه الأثناء جالسة على مقعد بلا مسند، تنظر إلى ساعة يدها من حين لآخر. كان الرجلان يلقيان من حين إلى آخر نظرة خاطفة على هذه الفتاة الجميلة التي لا تتحرك، ذات الوجه الشاحب والعينين المحاطتين بالهالات السوداء، وقد بدت كمن تحمل أثقال العالم على كتفيها. رافقتها "كاترين" إلى محطة "ليون". اشترت "ستيفاني" كل الصحف اليومية التي صادفتها. وكان الطقس بارداً والرياح كانت تهب قوية. كان من الممكن قراءة: "ميلانو"، "فيرون"، "فينيسيا"، "ترييست"، "زاجريب" على العربات غير المضاء بالقدر الكافي. أسماء وإن كانت جذابة للسياح في الصيف، إلا أنها لا توحى في سهرة نوفمبر (تشرين الثاني) إلا برحلة شاقة.

ها هما الفتاتان واقفتان وجهاً لوجه على الرصيف الذي يكاد يكون خالياً تماماً من الناس. كانت "ستيفاني" تنفوس في رقيقتها وهي جميلة ذات عينين عسليتين تشلان لأن في مكر ولطف مع من تألفت معها بسرعة. ها هو الرحيل قد أعلن.

— إلى اللقاء يا آنستي. أشكرك على هداياك وأتمنى لك أن... قاطعتها:

— لا، لا تمنعني لي شيئاً، لأنه ليس ما يمكن أن يحدث لي في الحياة

بعد الآن. أنا التي أشكرك يا "كاترين"؛ لأنني بدونك ما كنت سأتمكن من البقاء طوال هذا اليوم. الوداع...

تعانقتا. وكانت "كاترين" تحبس دموعها. ثم التفتت — عندما همت بالخروج — لكي ترى القطار وهو يختفي، وهي تفكر لأول مرة في حياتها في أنه من الممكن أن يقسو القدر أحياناً. كانت "فينيسيا" غارقة في ضباب الحريف.

ثم أشرقت شمس باردة على ركاب قطار الليل، رفعت "ستيفاني" ياقة معطفها الفرو وأشارت إلى أحد الحمالين. تركت أمتعتها في الاستعلامات، وخرجت من المحطة حاملة حقيبة سفر.

عليها أن تنزل بضع درجات سلم، أن تخترق ميداناً لكي تجد "جيراند كاتال" أمامها. مرت من على معدية وانتظرت السفينة البخارية. وصل الاتوبيس النهري ووجدت أن هذه المواصلات النهرية فريدة في العالم: "مدينة بلا سيارات". نزلت في محطة "ريالتو"، انقبض قلبها عندما رأت عن بعد منزل أسرتها. رأت السلم الحجري لهذا القصر الصغير — الذي يرجع إلى القرن الثامن عشر — ينزل في عظمة إلى الماء حيث كانت الزوارق فيما مضى تنتظر في هدوء — تهددها الأمواج — متعة أصحاب هذا المسكن. اجتازت — دون أن تدري؛ لأنها كانت ساهمة — السوق الذي يقام كل يوم بالقرب من "ريالتو"، بما عرضه من أسماك وجميري وأم الخلول. أسرع الخطى، وصلت إلى المنزل حيث أقامت. هناك أخذت حماماً، ثم استلقت على السرير وفترت الوثائق التي أخرجتها من حقيبتها. قضت الفترة الصباحية في التفكير وأخيراً اتصلت بالموتق الذي أعطاهام موعداً في الساعة الثانية.

— لم أتوقع لقاءك اليوم يا آنسة "ماركتيني"، لكنني كم سررت لرؤيتك!

إن الرجل الذي استقبلها وهو في رداء داكن اللون يبدو في الستين من عمره. لقد كان هو المهتم دائماً بشؤون أسرة "ماركتيني" وكان قد تابع

المراحل المختلفة التي مر بها أفراد هذه الأسرة، خاصة... منذ زواج الكونت للمرة الثانية ووفاته.

جلست "ستيفاني" في المقعد المواجه للمكتب وسألت في هدوء:
- أمن الممكن يا أستاذ أن توافيني - تقريباً - بقيمة عقار والدي وهو ملك لي الآن، والذي اكلفك ببيعه بما فيه من أثاث ولوحات... أي ما تبقى به...

هكذا أضافت في مرارة.
رفع الموثق حاجباً وتطلع إلى الفتاة الواقعة أمامه منتصباً.
ولما كان معتاداً - بحكم مهنته - التكنم، لم يبد أي تعليق بل اكتفى بالبحث عن ملف السيد "ماركتيني".

- منذ ثلاث سنوات كنت قد منحت توكيلاً للكونتيسة يا آنسة ليس كذلك؟ للأسف لقد أساءت زوجة أبيك التصرف في أموالك... قاطعته:

- أرجوك يا أستاذي، لبتنا نتكلم بالأرقام. لو كان عليّ ديون فسأعمل على تغطيتها عن طريق البنك الذي أتعامل معه، أما بالنسبة لجوهراتي فسأسافر إلى "روما" صباح غد. هناك سأقابل مع جواهرجي. لا بد لي من سداد مبلغ ضخّم.

- حسن جداً، الآن نقوم بالتقدير. وبالتأكيد تقريباً كما أشرت منذ قليل.

اختارت "ستيفاني" - في روما - فندقاً بسيطاً وبحثت عن عمل. أعادت العلاقات مع أصدقاء والدها، هناك تعرفت إلى مدير شركة طيران "اليطاليا"، وهو رجل طيب يدفع من يتعامل معه إلى مصارحته بما يعني. شرحت له الفتاة موقفها ووضحت له أنها تبحث عن عمل، وأنها تتحدث الفرنسية والإنجليزية والإسبانية، وخاصة أنها ترغب في مغادرة "أوربا". ثم بعد خمسة عشر يوماً من لقاتهما، عرض عليها عملاً في مكتب الشركة في "مكسيكو"، ابتداءً من الشهر القادم. وافقت في غير تردد.

اتصلت بمحامى الأسرة؛ لكي يسرع بعملية البيع. ثم بعد أسبوع، أعلن لها أن الأمور قد وضعت في نصايها، وعادت إلى "فينيسيا".

ولما كان البيع - أي بيع العقار - قد تم على عجل فلم يتمكن رجل القانون من الحصول على المبلغ الذي كان قد قدره.

- لا بأس - هكذا أعلنت "ستيفاني" - لأنه يلزمني مال في الحال. ثم، توجهت إلى مكتب صرافها الخاص.

أردف هذا الأخير مخاطباً إياها:
- آنسة "ماركتيني"... ها هو رصيدك بعد بيع سندائك.

ومدّ لها ورقة. لم يكن هناك وقت للمساومة. قاطعته:

- أضف شيكين ببيع المنزل بقيمة مجوهراتي. ها هما. تناولهما منها الموظف، أضافهما إلى حسابها ومنحها ورقة الحساب.

سألته:
- أمن الممكن تحويلها إلى عملة فرنسية؟

- سهل جداً.
حسب بسرعة، بعد أن تحقق من السعر الحالي.

- عشرة ملايين وخمسمائة فرنك يا آنسة.
- أي أكثر قليلاً من خمسة آلاف فرنك قديم؟

- بالتأكيد.
- هل تقومون بتحويل الحساب إلى الخارج؟

- بالتأكيد.
- أياً يمكن أن أحسب منه؟

- طبعاً.
عادت إلى المحامي الذي كان - متائراً - ينظر إلى الفتاة الجالسة أمامه، صامتة، مبدية ابتسامة فاترة. ثم - فجأة - تذكر والدها الكونت وما كان عليه من اعتزاز، عندما كانت الفتاة الرشيق تاتي مع والدها أمام مكتبه. وقفت "ستيفاني" وناولته الشيك.

عادت إلى المحامي الذي كان - متائراً - ينظر إلى الفتاة الجالسة أمامه، صامتة، مبدية ابتسامة فاترة. ثم - فجأة - تذكر والدها الكونت وما كان عليه من اعتزاز، عندما كانت الفتاة الرشيق تاتي مع والدها أمام مكتبه. وقفت "ستيفاني" وناولته الشيك.

- أعهد لسيادتك به والآن أطلب منك خدمة. هناك أيضاً علية صغيرة. هل تسمح بإرسال كل ذلك خلال ثماني ساعات إلى العنوان المدون على هذه البطاقة؟

انتفض الأستاذ المحامي عندما رأى المبلغ المذكور على الشيك. - لكنك بذلك يا آنسة تفلسين.

- إني غير ميالية بذلك. ساغادر "أوربا" خلال أيام. الوداع يا أستاذ وشكراً من أجل أتعابك.

تساءل إذا كان ينبغي أن يحتجزها، لكن - أمام إصرارها - انحنى أمامها ممسكاً بيدها بين يديه لفترة طويلة.

الفصل الثالث عشر

ما إن وصلت الطائرة إلى "بورتريكو"، إذا به "مارك" يشير إلى المضيقة الجوية، طالباً شرباً. كان قد قضى شهراً في مصنعه الذي سوف ينتهي عن قريب. كانت مساكن العاملين قد انتهت وكذلك منزل أبيش على شاطئ البحر كان قد احتجزه لنفسه منذ فترة طويلة وها هو الآن يتساءل في حيرة بشأنه: ماذا يفعل به؟ إنه منزل فسيح جداً لإقامته وليس معه سوى ملفاته...

أوشك علي النعاس، لكن عينيه انفتحتا رغماً عنه. إذ إنه - كالمعتاد حالياً - كلما دأب النعاس جفونه كانت تتملك عليه أصوات: "أنا"، مأمور الشرطة، الضباط، وأخيراً محاميه الخاص "الأستاذ" دهرية مكرراً بلا انقطاع:

"يا صديقي العزيز، ليس من مثيل لقصتك! إني عاجز عن التصرف، لأنك مفتقر إلى دليل أو ما يشبه صحة قصتك، لأن القطعة موضوع القضية تفجعت تماماً، وشهودك غير ناعمين. حقاً لقد شاهد "جالان" وصديقك "جيل" لوحتك، لكنهما ليسا خبيرين لمعرفة وتأكيد أنها نسخة مقلدة أم أنها أصلية. كما أن رجال التأمين لم يحضروا قبل

الحادث عندك. هذا بالإضافة إلى حصولك على اللوحة ليلة عطلة نهاية الأسبوع بلا ضمانات. هذا تهوراً!

وهل معك على الأقل "وصل" من الكونتيسة الشهيرة يثبت بيع لوحة "دافنشي"؟ لا! الآن لقد أصبحت عاجزاً عن الدفاع. نعم، أعلم، هذا لأنك كنت تعتزم قضاء الأيام الثلاثة في مشاهدة هذا العمل الفني البارز مع صغيرتك الإيطالية، والتي - بالمصادفة - اضطرت إلى الرحيل إلى "مارسيليا". وهناك كانت الاضطرابات..

يا صديقي العزيز، لقد تناولت موضوعك من كل الجوانب وهنا أقف مكتوف الذراعين، عاجزاً، غير قادر على التصرف.

كانت هذه الكلمات ترن في أذنيه وتؤله. كما أن وجه "ستيفاني" كان يتبادل الظهور أمامه مع تلك اللوحة المشؤومة. كان لا يزال يرغب في الفتاة بالرغم من إحساسه بالازدراء منها بسبب ما اكتشفه بأنه خدع من آل "ماركتيني". فتح عينيه وأشار إلى المضيقة:

- أريد كأساً من فضلك يا آنسة.

كانت الرحلة طويلة وتغيير المواقيت بين البلاد متعب. وصل منهاكاً إلى "باريس". استقبلته "أنا" كعادتها بالترحاب:

- صباح الخير يا سيد "مارك". إننا سعداء لرؤيتك ثانية. لقد أعددت لك الخمر، وسأعد لك وجبة شهية حالاً.

- شكراً يا "أنا"، لا.. الأفضل زجاجة شراب في حجرتي. قطبت حاجبيها! إذ قلت:

- أليس من الأفضل لك قدح شاي أو قهوة؟ ربت كتفها في مودة:

- لا تشغلي بالك بهذا الأمر، وأحضري لي ما طلبته منك إلى حجرتي.

وأثناء ما كان يأخذ حماماً ساخناً، كانت "أنا" تمنحه كل الأخبار وهي تحمل أمتعته.

- لقد وضعت كل الخطابات على مكتبك. يوجد أيضاً طرد موسى

عليه قد وصل منذ عدة أيام.

التف "مارك" بالبرنس، ثم أمسك بزجاجته، ودخل إلى مكتبه قاصداً الطرد الصغير. انتفض وهو يقرأ أن اللفة صادرة من "فينيسيا".

ولما كان يشعر بأن شيئاً ما سيحدث، فتحه وهو يرتجف. سقط منه ظرف وكاسيت. اتسعت حدقتا عينيه من الفزع عندما فتح الظرف ورأى الشيك بـ "عشرة ملايين" من الفرنكات، تحمل توقيع "ستيفاني" ماركيتيني دي بروسو. ها هو يحمل الآن الكاسيت.

وقف يتأمله مبهوراً. وضعه في الجهاز. كان في حالة قنوت جعلته ينهار ويجلس على الأريكة. وإذا بصوت رقيق، هادئ مع نبضات بالسة - على لحظات - ترتفع في السكون.

- أحبك يا "مارك". وإنتك ستظل دائماً حبي الوحيد. ساعيش على ذكراك، لأنني أعلم أنه لن يكون لي سواها.

إنني عاجزة عن التخلص من حبي لك. ويبدو أنني أحببتك منذ اللحظة التي قابلتك فيها عند تاجر شارع الدّسين. لقد شعرت حينئذ بالسرور يذب في قلبي. أشكرك. إلى النفس الأخير من حياتي سأفكر فيك. وكل ما أرغب فيه أن أسمع عنك أنك تحيا سعيداً. أحلف لك بأنني لست على علم بهذا العمل الحقير الذي لحق بك. الوداع يا حبي. لا تسع إلى لقائي. لقد أفسدت العلاقة تماماً. أحبك، أحبك.

ثم انخفض الصوت في نحيب مر.

وعندما دخلت "أنا" حاملة وجبة خفيفة، توقفت مذهولة، وجدت "مارك" جامداً ودمعتان تلمعان في عينيه. وضعت الصينية بسرعة وأسرعت إليه، حوطته بذراعيها في حركة حانية. لأن الموقف في هذه اللحظة لم يكن بين خادمة وسيد، لكن ببساطة سيدة طيبة تساند شاباً وصل إلى أعماق حالات اليأس.

ولما كان "مارك" معتاداً استخدام وصيفه "بيير" كسائق، قال له في ذلك اليوم:

- إلى قسم الشرطة يا "بيير"!

جلس على الأريكة الخلفية وفتح المحافظة المخبوءة على ملفاته. أخرج منها أحدها، تصفحه وهو يفكر في شيء آخر.

ها قد مرت ثلاثة أشهر منذ أن أرسلت له "ستيفاني" رسالتها الأخيرة. وفي صباح اليوم التالي لاستلامه هذه الرسالة، كان "مارك" قد رحل إلى "فينيسيا" - بعد أن سجل عنوان راسل الطرد - قاصداً الخامس. فما كان من هذا الأخير إلا أن سرد له زيارة زبونة ثم أعطى تعليماته الأخيرة. ثم بعد أن بحثا معاً عن وسيلة للعثور عليها، وضعا آمالهما في زيارة للمدرسة الداخلية حيث كان من الممكن أن يكون للفتاة صديقة هناك توافيها بأسرارها. توجه "مارك" إلى "سويسرا". حرصت مديرة المؤسسة في بدء الأمر على سرد حياة الفتاة الخاصة ثم - وقد تأثرت لباس هذا الشاب الجميل، ولكي تخمد شكوكه - قالت:

- أنا شخصياً لا أعرف شيئاً عن أمر الأنسة "ماركيتيني"، لكن في وسعي أن أخبرك بأنها كانت على صلة صداقة متينة بالأنسة "إسلوي" إذ إنها كانت تواصل التردد عليها بعد أن تركتنا للتوجه إلى "فيشي" لدراسة التصوير.

هذه المرأة متزوجة الآن، ومعني عنوانها.

وكان "مارك" وقتئذ قد توجه لزيارة هذه السيدة الشابة التي تقطن منزلاً محاطاً بحديقة جميلة خارج المدينة. استمعت في بدء الأمر بأذن متسعة مرحبة إلى قصتهما المؤثرة.

ثم أردفت:

- لقد كانت "ستيفاني" أفضل صديقة لي. ولما كانت تقضي معظم أوقات الإجازة الصيفية بمفردها كان والدي يدعوانها. فهي ودیعة، لطيفة لكنها كنوم. وكل فرقنا كانت تحبها إلى حد الهيام. كنا نرقص معاً ونقوم بممارسة رياضة ركوب الخيل والتزحلق على الجليد، ومن المفهوم أن معظمنا كان يتغازل عدا هي. كانت دائماً تردد: "لا شك في أن هناك الرجل الذي من نصيبي وأنا في انتظاره في ثقة". لدي خطابات منها سوف أطلعك عليها...

وكان "مارك" قد قرأ - وقلبه يتمزق من الأسى: "عزيزتي" "نيكول"
لقد قابلته وأنا أحبه. وهانا أتقدم ببطة نحو هذا الحب الذي أشعر به
ينمو بداخلي؛ لأنه يخيفني".

وهناك خطاب آخر كان يقول: "يا نيكول"، إنه يحبني، وأنا واثقة
بذلك ومازلت خائفة. السعادة تغمرني! وتلت هذه السطور تفاصيل
عن خروجهما معاً في "باريس". ثم ترددت السيدة قليلاً قبل أن تمد
يدها بالخطاب الثالث إلى زائرهما.

إنها ورقة موجزة: "نيكول"، لم أعد خائفة؛ لأنه لن يلاحق بي شيء.
سوى الموت، والموت لا يخيفني. لقد رحل. لن أراه بعد اليوم. أقول لك
الوداع وأشكرك على صداقتك التي لم تحرميني منها قط. "ستيفاني".
كان زوج "نيكول" قد دخل في اللحظة التي كان "مارك" يغادر فيها
المنزل، وكان قد فوجئ بهذا الشاب الانيق الذي مر بالقرب منه دون أن
يراه، وقد بدا الحزن على محياه. كان قد التفت إلى زوجته التي كانت
تبكي وهي ممسكة بالخطابات.

كان "مارك" قد توجه أيضاً لمقابلة قنصل "إيطاليا" الذي - لا شك
في ذلك - كان لا يعرف شيئاً عن الأمر. كان غاية ما في الأمر قد أشار
إليه بأنه قد تم الحصول على معلومات من قبل خدمة التجارة الخارجية.
كان "فيتوريو رينالدي" مجهولاً هناك. وعلى عكس ذلك كان هناك
شخص ملقباً بـ "رينالدي" كان قد وقع في خلاف مع الشرطة الإيطالية
بسبب قيامه عدة مرات بحالات نصب واحتيال قبل ذلك بخمس أو
ست سنوات قبل الآن. ومنذ ذلك الحين لم يُسمع عنه شيء.
توقف "بيير" أمام قسم الشرطة. أشار إليه "مارك" إلى المكان الذي
ينبغي أن ينتظره فيه، ثم عمل على البحث عن مكتب البحث عن
المفقودين.

لم تكن الساعة قد بلغت الثانية عشرة بعد ورئيس المكتب كان قد
فكر في وجبته التي كان يعتزم تناولها مع زميله في مطعم صغير في
ميدان "دوفين". دخل "مارك" وقدم له بطاقته. طلب منه المأمور أن

يجلس. ثم استمع إلى المظلمة المقدمة إليه.

كان مستنداً إلى مرفقيه على مكتبه، مشبكاً يديه، ثم ملقياً نظرة
على الورق الموضوع أمامه، أجاب:

- سيدي... دي... "موجاندر"، بالرغم من رغبتي في تقديم
خدماتي لك، أجد أنني عاجز عن ذلك. لماذا تقوم بالبحث عن شخصية
ليس لدينا إدانة عليها؟ إنها لم ترتكب أي خطأ. من جانب آخر، فهي
سائحة، ومزودة بجواز سفر سياحي، ولها الحق في العودة إلى بلدها أو
التوجه إلى أي بلد آخر، كما يحلو لها. كما أنه ليست لها أي صلة
قريبة بك... هذا ما أخبرتني به! غاية ما في الأمر أنك ترغب في
مشاهدتها.

لكن سيدي العزيز، إذا كلفنا موظفي هذا المكتب بالبحث عن
الفتيات اللاتي يرغب العديد من الشبان مثلك في لقاءهن، فسنعمل
على إرهابهم. إذن أنصحك بالتوجه إلى وكالة خاصة...
تحقق "مارك" فجأة أنه أساء التصرف. خرج خافضاً رأسه، بعد أن تمت
بعض عبارات الاعتذار.

وبعد لحظة تفكير، توجه المأمور إلى مرؤوسه:

- إن ما يطالب به أولئك الناس أمر غير مقبول، هيا بنا نتناول الغداء!
وأثناء ما كان يرتدي معطفه ألقي نظرة أخيرة إلى البطاقة.
- شاب جميل وقلبه "دي موجاندر". خسارة... إنه يشرب.

- هل هو يشرب يا سيدي؟

- نعم منذ فترة طويلة.

- كيف عرفت ذلك؟

- إنها مهنتي! لأن له بعض الشرايين الدقيقة حمراء على بياض
عينيه...

- وهذا لأنه صدم، بحسب رأيك؟

- من البديهي.

تجراً الزميل على إيداء هذا الرأي:

- إذا كان بالمصادفة يبحث عن فتاة ففي إمكانني أن أعرض عليه "بوليت".

سأله رئيسه في فضول:

- هل مازالت تتردد عليك؟

- نعم. لقد أخبرتني بأنها لن ترحل أبداً وبأنها سوف تدفنتني، وتستفيد من معاشي!

سأله المفتش وهو يفتح باب المكتب:

- من معاشك! وكيف يحدث ذلك؟

اعترف الآخر في حرج:

- لأنني... لأنني تزوجتها منذ أقل من شهر.

حينئذ قهقه رئيسه حتى إن صدى صوته كان يرن في الدهليز.

ها هو "مارك" ممدد على الأريكة وبجواره زجاجة على مساندة منخفضة، يستمع مرة أخرى إلى الكاسيت. وإذا برنين جرس قوي يجعل "أنا" - وقد دهشت لأنه لم يعد أي زائر يتردد على الدار - تفتح الباب.

- أه! الآنسة "كورين"! يا لسروري بلقاك!

- مساء الخير يا "أنا". هل هو هنا؟

- نعم.. في مكتبي.

صعدت السيدة السلالم أربعاً أربعاً، مصدرة صوتاً بكعب حذاءها، فتحت الباب وصاحت في مرح:

- "كوكو"، "مارك"! إنه أنا! لقد أتيت لكي أحركك وأرفعك.

لقد افتقدناك. هل تعلم ذلك! إن الأستاذ "دهرييه" يستقبل أصدقائه، ولقد كلفوني بحرك إذا لزم الأمر لذلك...

نهض "مارك" بصعوبة وقبل السيدة على وجنتيها وقال:

- هذا كرم منكما أن تفكروا في. لكن هانت ترين يا "كورين" اني

أكثر من العمل وعندما يأتي المساء أجد نفسي متعباً.
إنك تسرد لي قصصاً لا أفهم منها ولا أصدق منها كلمة واحدة!
وجلس على الأريكة.

- تعال هنا، اجلسي بالقرب مني.

وخلال ساعة تقريباً، حاولت - بكل ما لها من لطف طبيعي مألوف عندها - أن ترفع من روحه المعنوية، لكن كان ذلك عبثاً؛ إذ كان "مارك" يسمعها وذهنه بعيد عنها جداً، أدركت أن محاولتها غير مجدية، فغادرت المكان مغمومة، وهي تفكر: "يا إلهي لا تجعلني أعشق أبداً! ربما ساحرم من أشياء جميلة لكنني سوف أتفادى آلاماً جسيمة.

كان "مارك" قد بدأ ينعم، وساعد على ذلك الشراب. تسلسل القط "ميتشو"، لأنه وجد الباب موارباً عندما دخلت "كورين"، ثم قفز إلى الأريكة. جلس على إحدى الوسائد وأخذ ينظف نفسه. وبالرغم من أن هذا الحيوان الأليف كان لا يفارق المطبخ، إلا أنه اعتاد قضاء سهراته في المكتب منذ أن عاد "مارك" إليه. دخلت "أنا" ومعها مشروب ساخن. فهي دائماً متفائلة هذه الـ "أنا" وهي تعلم أنها ستجد القدرح مليئاً في اليوم التالي.

أرادت أن تطرد القط.

- دعي صديقي الصغير وشأنه يا "أنا" - هكذا أردف الشاب وهو يلاطف رأس الأنجورا الرمادي الذي بدأ يقر في الحمال - يحدث أن أتبادل معه حديثاً طويلاً أحياناً ليس كذلك يا "ميتشو"؟
وبالمصادفة، حرك القط أذنيه؛ لأنه كان يالغ نبرة الرجل.
عادت "أنا" في الليل وفي ساعة متأخرة. ها هي تجد "مارك" نائماً والزجاجة فارغة، فردت عليه غطاءً من الفراء.

أما "جيلبير جالان" فكان يعد حقايقه. كان أكبر جزء من أمتعته على السرير وقمصانه تملا المقاعد.

دخل "مارك" في هذه الأثناء.

- صباح الخير! ما الذي يحدث؟ هل تعزل؟

- ساسافر، وفي هذا المنزل ليس سواي من هو كفيل بإعداد أمتعتي؛
لاني أجيء معرفة لون القميص ورباط العنق المناسب لكل بدلة، وكذلك
المجرب والمناويل. أبعد ما هو على أحد المقاعد لكن - قبل ذلك -
أذهب وأحضر لنفسك كأساً. لا بد أنك ظمآن؟
- بالضبط.

هو "جيلبير" كتفيه. إنه ما زال يتالم أكثر فأكثر بسبب صديقه. لقد
عاد إلى ذهنه الحديث الذي دار بينه وبين "ليديا" في لحظة محاولة
الاعتداء. "ما رأيك في هذا الموضوع؟" هكذا كان قد سألها. وكانت -
وقتئذ - قد فكرت زوجته لحظة، قبل أن تجيب:
"أعتقد أن هذه الفتاة بريئة، وأنها ستظل معذبة طوال حياتها و...
هو أيضاً". كان قد تذكر هذه الكلمات عندما أسمعها "مارك"
الكاسيت الذي ريكهما كليهما.
عاد الشاب وبيده الكأس. جلس على المقعد ومد ساقيه على زاوية
السرير.

- إلى أين تذهب؟

- إلى "المكسيك" .. "بوبيللا"، "مكسيكو"، وفي النهاية،
"أكابولكو" تخيل.. إن أحد المخرجين قد حصل على موضوع من إحدى
الروايات يصلح لأن يكون فيلماً رائعاً. هناك لي في هذا الفيلم دور عند
الهنود وفي بحر بترولية... كما أن معي شريكة في الفيلم رائعة.
- و"ليديا"؟

- إنها ترافقتني، هذا وضع طبيعي.

ظل "مارك" ساهماً قبل أن يصيح وكأنه معاد:

- إنك سعيد على الأقل!

- هل تلومني؟ نعم! أنا سعيدان.

أفرغ الشاب كأسه دون أن يجيب وحينئذ انفجر "جيلبير":

- اسمع يا صديقي، تصرف بأي شكل! هل ستواصل حياتك غارقاً
في اليأس؟ إنك تفسد صحتك بهذا الشراب... ولماذا؟ إنك شاب،
جميل وثري...

- آه! المال!

- نعم، نعم في كل مرة يبادرني أحدهم بقوله: "آه، المال" مبدئاً
النفور أو التقزز، فهو دائماً شخص صاحب رصيد ضخيم في أحد
البنوك.

هكذا أردف "جالان" الذي لم ينس قط بداية حياته التي كانت أكثر
ما تكون متواضعة.

ثم ندم في الحال على ما صدر منه من كلمات لازمة عندما شاهد وجه
صديقه. لقد نحف، كما أن ملامحه قد اتسعت عليه، ووجهه قد
شحب والتجاعيد بدأت تظهر حول فمه.. مظهر مرارة حياته.

لم رق قلب "جيلبير" وقال:

- هل لديك أخبار عن محاولتك الخاصة؟

وضع "مارك" رأسه بين يديه وهو يتمتم:

- نعم، لم يجداً شيئاً.

ثم أضاف:

- لماذا رجعت دون أن تترك عنواناً أتمكن من لفائها فيه؟ يا وديعتي،

يا جميلتي "ستيفاني"، لماذا تخليت عني؟ لماذا يا حبي الوحيد، لماذا؟

الفصل الرابع عشر

عندما وصلت "ستيفاني" إلى "مكسيكو"، شعرت بالوحدة في هذه
المدينة المزدهمة التي يسكنها شعب غير متجانس. استقبلت الفتاة
بمزيج من الترحاب من موظفي شركة "إيطاليا". لم يكن عددهم كبيراً،
وكانوا يشكلون فريقاً من الأصدقاء، أكثر من أن يكونوا موظفين، تحت
إدارة "لويجي سيكا"، وهو إيطالي ظريف في الثلاثين من عمره، مرح

ودائماً ذو مزاج حسن. وسرعان ما وجد لها أحد الزملاء ستديو مؤثراً وبما كان متواضعاً، لكن بإيجار مناسب. واستقرت في حياتها الجديدة، غير مهتمة بكل ما هو خارج عن العمل الذي كانت مكلفة بإتمامه.

سر "لويجي سيكا" في الحال بهذه الفتاة الجميلة للتحفظة التي لم يكن ينال منها سوى ابتسامة مؤدية، سرعان ما تختفي. كان يراقبها وهي منهمكة في العمل. كانت تجلس أمام المكتب وأمامها لوحة نحاسية تشير إلى أنها تتحدث الفرنسية والإنجليزية والإيطالية. كانت تقابل الزبائن بمودة، تشير إليهم بالرحلات الجوية المختلفة، وتمجيز لهم الأماكن. وهي بسيطة في هندامها ولكن في ذوق رفيع، وشعرها مضموم في "شينيون" على عنقها، وكان جمالها وسحرها يجذبان أنظار الجميع، لكن عينيها الواسعتين كانتا تلاحظان الفراغ؛ وبذلك تخب ظن أكثر الشبان جراً. وعندما ينتهي يومها، فهي تعمل على تحية زملائها في العمل وهي ترفض دعوتهم بكل لطف، وتعود إلى الاستديو بعد القيام بشراء بعض المؤن.

كانت الفتاة أيضاً قد منحت حجرتها العادية طابعاً شخصياً ببطيخة أمتار من النسيج ذي الرسوم وبعض الوسائد وأثاث من البامبو، واشترت أيضاً بعض الأعمال الحرفية الهندية. كانت تعد وجبة تضعها على المائدة المزودة بالزهور، تغلق الستائر وحياتها تبدأ: سوف تعثر على "مارك". كانت تحل شعرها، وتدعه يتحرر على كتفها، ثم ترتدي فستاناً كانت قد ارتدته للخروج معه. وكانت "ستيفاني" قد احتفظت من مهنتها القديمة كمصورة - تلك المهنة التي لا ترغب في ذكرها ولا سماع الكلام عنها - ببكرة أفلام، كانت قد عملت على تحميلها فور وصولها إلى "المكسيك". كان الحائط المواجه للمكتب مكسو بالصور الفوتوغرافية في منزله الخاص. "مارك" عند آل "مارقي". وأخيراً "مارك" في بلوفر أبيض أمام جواده عند صديقه "جالان"، يوم أن احتواها بين ذراعيه للمرة الأولى.

واعتادت أن تضع أسطوانة وتبدأ في تناول وجبتها كفتاة وحيدة. في

أغلب الأحيان، كانت سيمفونيا رقم 2 لـ "براهام". ثم بعد أن ترفع ما على المائدة، تتمدد على الأريكة وتناول الشاب الذي تحبه مستعيدة في ذهنها الطريق الذي قطعت منذ أول لقاء لهما. وما هي كفت عن البكاء لأن هناك آلاماً تتجاوز مرحلة الدموع. كما كان النعاس يغلبها أحياناً وهي في فستان الحفل. ويحدث أن تستسلم له غير قادرة على الحركة، أشبه بمرضى يخشى الحركة لئلا يحرك آلامه.



لكن "دولوريه" زميلتها في العمل، وهي "مكسيكية" نجحت في جعلها تتكاثف. كانت هذه الزميلة شخصية لطيفة، تزوجت قريباً من مهندس وهو خريج جديد في الجامعة. اعتادت "ستيفاني" الخروج معها مرة كل أسبوع.

ذات مساء، كان ينبغي أن يتقابل هذ الثنائي مع بعض الأصدقاء في أحد المطاعم. وسرعان ما تألفت الفتاة، فكانت تتوجه معهما إلى المسرح وإلى السينما وإلى أي حفل غنائي، وخاصة حضورها هذه المشاهد المتواجدة في شوارع "مكسيكو" وبالتحديد في حي ميدان "جارتا ليدى" حيث تتكون هذه الـ "ماريا شيس" وهي مجموعة من الموسيقيين المتجولين.

ولما كان "لويجي سيكا" قد انجذب للفتاة فقد عمل على التقرب من "دولوريه" وزوجها؛ وبذلك تمكن من أن يعرض عليهما رحلة إلى "كانكان".

- "دولوريه" وأنت كذلك يا آنسة "ماركتيني". عندي فكرة أود أن أوافقك بها. لقد اقترب عيد الميلاد المجيد وستكون في إجازة طويلة بعض الشيء. ما رأيك في رحلة صغيرة على شاطئ "البحر الكاريبي"؟ وما هو المشروع يشير مناقشات عدة. إذ إن موظفتين أخرتين أريدنا الرغبة في الانضمام إلى الفريق. امتنعت "ستيفاني" في البداية، ثم ما لبثت أن وافقت.

وفي الطائرة، مال عليها "لويجي":

- هل تسمح لي بأن أدعوك "ستيفاني"؟

أجابته في بساطة:

- بالتأكيد يا "لويجي".

وإذا بالشاب يبدي ابتسامة عريضة.

كان الطقس حاراً جميلاً في "كانكان"، والبحر يتسوج في روعة،

وأغصان شجر جوز الهند تصدر صوتاً مع الرياح.

قال المهندس ضاحكاً وهو يحتضن زوجته:

- بلد أحلام بالنسبة للعاشقين.

التفت "لويجي" نحو "ستيفاني". لم تسمع ما يقال من حولها، لأنها

كانت تسير على الشاطئ، على الرمل الأبيض وهي تشعر بالوحدة أكثر

فأكثر.

وها هو عيد الميلاد قد أقبل، وكانت سهرته من أنجح السهرات،

و"ستيفاني" رقصت. عندما عادوا إلى "مكسيكو"، كانت روابط

الصدقة بين أعضاء فريق "اليطاليا" قد توطدت و"لويجي سيكا" يغذي

أملًا وأهياً في قلبه.

و ذات مساء سألت "دولوريه" الفتاة:

- أترغبين يا "ستيفاني" في القيام معي بجولة إلى المحلات؟ لاني

أرغب في التجول في الـ "زونا روزا" بين الحياطين وصناع الاحذية.

وأثناء ما كانتا تتجولان في شوارع هذا الحي الجميل، حاولت

"دولوريه" الوصول إلى أعماق الفتاة.

- ما رأيك في رئيسك في العمل؟

- إن العمل معه ممتع.

- أقصد: كشاب؟

- ظريف.

- سيحصل قريباً على مركز مرموق.. هل تعرفين ذلك؟ من البديهي

مركز إداري.

"ستيفاني" لم تجبها. فالتحت:

- وهو يأمل في أن يعيش في "باريس" خلال عام. هل تعرفين

"باريس"؟

- نعم.

- لا بد أنه بلد رائع. هل تحبينه؟

- لن أعود إلى هناك؛ لكنني أحبه.

فما كان من "دولوريه" إلا أن غيرت مجرى الحديث، لما شاهدته من

تغير على وجه "ستيفاني".

وخلال شهر يناير (كانون الثاني)، توجهوا جميعاً معاً لزيارة مدينة

الآلهة التي تدعى "تيو ثيوكان" وهي فخر الحضارة الهندية. كم

أعجبت "ستيفاني" بجمال المكان بما له من أهرامات شامخة. ولما كانت

تشرك "لويجي" في انطباعاتها، سعد هذا الأخير لاهتمامها به. أخذ

يشرح لها بالتفصيل عن الثقافة الهندية في العصور الأولى.

واستمرت الحياة: العمل في النهار - و - في المساء - ذكرياتها، ومن

حين إلى آخر مع الأصدقاء الجدد.

و ذات صباح، أعلنت "دولوريه" - والسعادة تطل من عينيها - أنها

تستعد لاستقبال طفل. وللاحتفال بهذه المناسبة السعيدة، دعت كل

أفراد الوكالة إلى حفل عشاء مرح يوم الأحد التالي. وللمرة الأولى،

استمرت "ستيفاني" في تلك الليلة وكانت مرحة جداً، الأمر الذي بعث

بالسرور في نفس "لويجي". وعندما أوصلها بالسيارة إلى منزلها توقف

لكنه منعها من فتح باب السيارة.

- لا تخرجي يا "ستيفاني"؛ لاني أريد أن أتحدث معك.

عندما التفتت نحوه، لاحظت أنه أخفض الرأس شيئاً نظره على عجلة

القيادة وقد بدا محرجاً، أو متضيقاً.

- ها... ما أريد أن أخبرك به... إنني منجذب إليك. أراك جميلة،

ودعيمة، جذابة. لك كل ما يرضي الرجل. لا بد أنك عانيت من حزن

عميق قبل أن تزحفني إلى "مكسيكو". لن أسعى إلى معرفة ماضيك.

إنك تستحقين حياة أخرى، تختلف عن هذه الحياة وكل ما أرغب فيه هو أن أعيد إليك طعم الحياة والضحك.

إنك تعلمين أنني أتمتع بمركز متميز ولي آمال عريضة. هل تقبلين أن تكوني زوجة لي؟ لا تجيبيني في الحال. فكري. ساعلمك كيف تحبيني. على أي حال، من جانبي فإني أحبك. تأثرت "ستيفاني" وأمسكت بيده قائلة:

- شكراً يا "لويجي". سافكر في كل ما أخبرتني به، لكن - حالياً - أجد نفسي عاجزة عن الرد. أترغب في الانتظار إلى الغد؟ تبادلوا الابتسام وذهبت "ستيفاني" إلى الاستديو الخاص بها.

وخلال خمسة عشر يوماً لم يتبدل الحديث إلا في بعض المواضيع العادية لكن "لويجي" دعاها ذات مساء إلى العشاء، وأثناء إعادته لها إلى مسكنها، كرر لها طلبه.

- إنك شابة صغيرة يا "ستيفاني"، فلا ينبغي أن تنعزلي هكذا عن العالم. لقد خلقت لكي يكون لك زوج وأبناء.. فكري. سانتظر ردك في حب وصبر.

عندما عادت "ستيفاني" إلى منزلها، جلست أمام المائدة. أراحت ذقنها على يديها المشبكتين وأخذت تفكر. لن ترى "مارك" أبداً بعد الآن. كيف ستكون حياتها؟ إنها غير قادرة على توقع مستقبل إلا ويكون مظلماً، فارغاً وبلا أمل. رأت نفسها وقد أصبحت عانساً في منزل صغير، تهتم بمقطتها وزهورها، وحينئذ شعرت بالخوف. "لويجي" شاب ذكي، جذاب، وهو يحبها. ولم لا؟ سوف تحصل على أطفال تعمل على تربيتهم وغوهم. لن أكون أول ولا آخر من تشارك رجلاً في حياته - هكذا حدثت ذاتها - رجلاً يجد فيه الرأي العام زوجاً مناسباً. وكذلك والداً طيباً. إن في قلبها جرحاً يلتمس بصعوبة...

أبعدت الفتاة مقعدها. اقتربت من الحائط وأغلقت عينيها وهي تشعر بالارتباك والتردد، ثم أغلقت عينيها لفترة طويلة.

وعندما فتحتهما ثانية، رفعت الصور عن الحائط، الواحدة بعد

الأخرى. لقد اتخذت قرارها. وضعتها على المائدة ومزقتها.

عملت منها أكواماً صغيرة، تناولت إحداها، ثم دخلت إلى المطبخ الصغير وفتحت باب سلة المهملات وهي أفخر ما في المنزل من أثاث متواضع. وها هي الصور الممزقة اختفت في الثقب المظلم.

كانت صورة "مارك" وهو أمام الحصان، مازالت معلقة. وفي لحظة انتزاعها، ألقت إليها نظرة أخيرة ومدت يدها، لكن يدها سقطت ثانية خاملة. شعرت بأصابع "مارك" ممسكة بكتفها. أحسّت من جديد بالأسى والسعادة التي كانت قد شعرت بهما عندما كان قد حولها نحوه. سمعت صوته وهو يتمتم: "وديعة وجميلة يا "ستيفاني"، لقد اغدبت لك منذ أول لقاء، لكنك الآن تسحريني". شعرت بذراعيه وهو يضمها إليه ومحاولاً أن يقربها منه لكي يقبلها. حينئذ صاحت:

- لا! لا!

ثم ألقت بنفسها على السرير.

أخذت تعض وتقبض بشدة على الوسائد وهي تهتز من شدة النحيب

مرددة:

"مارك" يا حبي... لست قادرة على أن أكون لغيرك يا حبي! يا حبي!

الفصل الخامس عشر

قام "جيلبير" بغطس في حمام السباحة الموجود بالفندق سباحة مسافة ليست بالقليلة، ثم خرج من الماء، وتمدد بالقرب من زوجته.

- لقد شعرت بتحسن! لأنني أكاد أموت من الحرارة في هذا البلد. إنك لا تعلمين أنهم عملوا على جعلني أكرر رجولي ست مرات من مبنى صاحب المزرعة بالسيارة وتحت شمس حارقة! وزميلتي المكسيكية - وهي جذابة بالإضافة إلى ذلك - تضع عطراً ذا رائحة نفاذة، يمسح لي صداعاً!

ابتسمت "ليديا" في صمت.

- هل هذا يثير عندك الضحك! هناك ما هو أكثر من ذلك. سوف نكرر - هذا المساء - مشهد حادثة الحصان. أترين؟

- متى سنعود إلى "مكسيكو"؟

- لا أدري، مع كل هذه الإعادة المتكررة.

اقتربت شريكة "جيلبير" الفرنسية ضاحكة. وهي فتاة شقراء:

- لقد سمعتك نيكبي عندما كنت في المشرب. صبراً! سننهي الفيلم بعد "بوللا" بسلسلة لقطات في "أكابولكو". سيكون طوال الوقت في "المحيط الهادي"!

- حسناً. وكأنكن يا معشر النساء لا تشعرون بالحر أبداً.. لست أدري كيف تنصرفن!

- لا شك في أن ذلك يرجع إلى هذوئنا الدائم، أما أنتم فبأنكم تتحركون بلا توقف.

- لأن المخرج يثيرني.

- لبيتنا لا نندمر، لأنه إن لم يُتقن هذا الفيلم، فستكون أنت أول من يحتج.

انضمت "ليديا" إلى الحديث:

- إنها على حق يا "جيلبير". ليست غلطة أحد، إذا كانت الحرارة يمثل هذا الارتفاع في "مكسيكو" في شهر مارس (آذار)!

نهض.. هز كتفيه وألقى إليهما نظرة معتمة:

- إنكما تثيراني. سأعود إلى الماء.

انطلقنا في الضحك.

- وأنت يا "ليديا" ماذا فعلت اليوم؟

هكذا سألتها الممثلة.

- لقد قمت بزيارة المدينة، لكن على غير عجل، وكنت أختار الأرضة المظلمة. إنه بلد السيراميك. لقد شاهدت العديد من المجموعات الحارقة، النادرة من البلاط القيشاني والمطعم بالاصداق.

وبعد ذلك تناولت الغداء في مطعم صغير حيث تذوقت الـ"مول بويلانو" الشهير في "بوللا".

- وما هو هذا الطبق؟

- إنه الرومي بجوز الهند.

- هل هو لذيق؟

- إنه يعتبر غريباً في البداية، لكن من يداوم على تناوله يقدره ويتلذذ به!

والآن ها هو "جيلبير"، عائد نحوهما:

- هيا بنا تناول شرباً وتنعشي. توجه الطاقم بأكمله إلى المشرب.

وبعد انقضاء أربعة أيام، عادوا جميعاً إلى "مكسيكو" حيث منحوا أنفسهم ثمانين وأربعين ساعة من الراحة، وكان "جيلبير" قد انفرجت أساريره واستعاد مزاجه الحسن. عمل على التنزه مع "ليديا" في المدينة وجعلها أيضاً تزور متحف الـ"أنثروبولوجي" القومي الشهير.

عندما عاد الممثل إلى الفندق، قال لزوجته:

- كل الطاقم سوف يستقل الطائرة لـ"أكابولكو". ما رأيك في التوجه إلى هناك بالسيارة يا عزيزتي؟ إنها تبعد عن هنا حوالي أربع مائة كيلومتر.. بذلك سنتعرف على هذا البلد الذي لا نعرف عنه الكثير عدا أماكن التصوير.

صاحت "ليديا" في حماس:

- فكرة رائعة! كم أن هذا البلد رائع وجذاب. أعتقد أن هذه الرحلة سوف تحتاج إلى ست ساعات مع التوقف من حين إلى آخر. وفي صباح اليوم التالي، إستأجرا سيارة وانصرفا قبل الساعة التاسعة. وكان قد انضم إليهما أحد المصورين وشريكة "جالان".

انطلق "جيلبير" إلى الـ"باسودي لا ريفورما" متبعاً التعليمات التي تمنحه بإها "ليديا" وهي على دراية بدراسة خريطة المدينة. ولسوء الحظ أخطأ وتواجد في "أفنيديا دي لوس أنيسيرجنس" وهو مكان يعتبر رعب قائدي السيارات الأجانب في "مكسيكو".

- لقد هلكنا ... اتجاه واحد ومستحيل أن نلف! ..
 - اتخذ أول شارع عن اليمين. سنجد طريقنا بذلك ...
 واصل الطريق لحظة وقد ضلنا تماماً. تقلص "جلالان" على عجلة القيادة وتوقف بشدة بمحاذاة رصيف.
 - أرجوك يا "ليديا" خذي عجلة القيادة؛ لأنني أشعر بأنني موشك أن أتعصب. هل عرفت الطريق الصحيح؟
 جلست مكانه وهي تبتسم؛ إذ إن من عادة "ليديا" أن تحتفظ بهدوئها وسكينتها. إنها السيدة الوحيدة الكفيلة بأن تخمد عصية رفيقها.
 - سنعود إلى الفندق ونعاود الرحيل بدءاً من ميدان الاستقلال. ومن هناك، أعتقد أنني سوف أجد التصرف.
 ها هما الآن يقودان السيارة من جديد على الشارع الكبير الذي هو الـ "باسودي لاريغورما". وفي الإشارة الحمراء، كان "جيلبير" ينظر إلى المشاة وهم يعبرون الشارع. فجأة اتسعت حدقتا عينيه وصاح. ولما كانت "ليديا" تواصل القيادة، هز ذراعها:
 - توقفني! توقفني بسرعة! يبدو لي أنني رأيت "ستيفاني"!
 - إننا في مفترق طرق! هل أنت واثق بأنها هي؟
 - أكاد أكون واثقاً. انتظريني هنا، اركني هنا. وإذا ما أتاك الشرطي، تظاهري بأنك قد ضللت الطريق تماماً ...
 وقفز من السيارة وجرى مثل الجنون، دافعاً بالمارة الذين في طريقه، خشية أن يفقدها؛ لأنها فعلاً هي هناك .. هذا الشيخ الذي كان يسير بخطى سريعة. لحق بها وتبعها تاركاً مسافة واسعة بينهما. توقف عندما رآها تدخل إلى مكاتب وكالة الـ "البطاليا". ظن أنها تبغي أخذ تذكرة طيران، فانتظر. وبعد ربع ساعة - عندما لم يرها تخرج - اقترب من واجهة الإعلانات والطائرات الدقيقة حيث رأى "ستيفاني" جالسة أمام مكتبها، وكانت عليه لوحة معدنية تشير إلى اللغات الأجنبية المختلفة التي تتحدث بها. وإذا بزبون - ويده ملزمة - يتقدم نحوها ويتحدث معها وهو يشير إلى بيان سياحي مصور.

عاد الممثل، وإذا به يجد "ليديا" وقد أوقفها شرطي المرور كما كان متوقعاً؛ لأنها كانت في مكان مخالف. وهي تتفاهم معه بالإسيانية على قدر استطاعتها. فما كان من "جيلبير" إلا أن صعد إلى سيارته مبتسماً إلى الشرطي الذي كان شغوفاً إذ تركهما يرحلان.
 قال "جلالان":

- هيا بنا نعود إلى الفندق.
 ثم قادا سيارتهما في صمت للحظة. وفي النهاية سألته "ليديا":
 - يبدو عليك أنك مرتبك. هل هي "ستيفاني"؟
 - نعم.
 جلسوا هم الأربعة في الصالون الكبير وهو يدعى "أوروزو روم" في فندق "ماريا إليزابيل". وقف "جيلبير" يتأمل لحظة النقوش الهائلة وهي من رسم "كليمنت أروزكو" وهناك قاعة باسمه، قبل أن يحكي لهم ما اكتشفه بعثوره أخيراً على "ستيفاني" الجميلة.
 - لم أجرؤ على الدخول. ما رأيك يا "ليديا"؟
 - لقد أحسنت التصرف. قد يكون في إمكانها الهرب مرة أخرى! من رأيي أن نخطر "مارك" في الحال.
 - سأنتصّل به هاتفياً فوراً!
 - انتظر - فكرت "ليديا" لحظة - يجب التأكد من أنها تعمل على الدوام في هذه الهيئة. كيف نتصرف؟
 حينئذ تدخل المصور الذي كان مصغياً للقصة كلها متأثراً:
 - ما رأيك في أن أتوجه إليها؟ لأنه لم يسبق لها أن رأتني. بذلك سيكون في إمكاني التحدث معها ومحاولة معرفة المزيد من التفاصيل؟
 - فكرة رائعة يا صاحبي. أسرع إلى شارع "نيزا". إننا في انتظارك.
 تعال سأخبرك بالطريق. ومن السهل تعرف الفتاة. إنها رائعة الجمال، ذات شعر كستنائي وعينين واسعتين زرقاوين لا يمكن أن تخطئ في شخصية أخرى؛ لأنها جميلة جداً!
 ثم بعد قليل، كانت "ستيفاني" تبتسم للشباب الواقف أمامها سائلة

إياه إذا كان في إمكانها أن تقدم له خدمة ما. انطلق حينئذ هذا الأخير موضعا:

- آنستي. إني فرنسي. وافتد من "جوانيمالا". أقوم هنا بدراسة أصول "مايا" التي مازالت غامضة، كما أنني قمت بمقارنة بينها وبين حضارة "آسيا الصغرى". وينبغي أن أتوجه إلى "روما" لكي أقابل هناك زميلاً إيطالياً متخصصاً في هذا الأمر. ومن "روما" سأتحج إلى "مصر". لكن بما أنني لم أنه بعد عملي في "مكسيكو"، فلست قادراً على تأخير موعد رحلي. والأأن أرغب في معرفة جدول مواعيد الرحلات الجوية والتاريخ الذي ينبغي أن أحضر فيه للحجز قبل الرحلة.

فحصت الفتاة إعلاناتها وأخبرته بما يفيد.

- أشكرك. إنك لطيفة. هل أنت فرنسية؟

- لا.. إيطالية.

- لكنك تعيدين لغتي. سوف أحدد تاريخ رحلي بعد عدة أيام.

ثم أضاف مبتسماً:

- بذلك سوف أحتاج إلى معونتك.

أجابته في مودة وقد تسلت بهذا الشاب الذي يبدي تقريباً منها:

- من البديهي يا سيدي أنا لا أرى داعياً لمغادرتي "إيطاليا". أنا في

خدمتك. إلى اللقاء.

ثم عاد المصور بسرعة إلى مقره حيث كانوا - وهو يعلم ذلك - ينتظرونه بفارغ الصبر. وفور سماعه لحدث المصور مع المضيف، أسرع "جيلبير" إلى مكتب الاستقبال.

- هل في إمكانني الاتصال بـ "باريس"؟

- بالتأكيد يا سيدي. ومع ذلك أراني مضطراً إلى لفت نظرك بأن الساعة الآن في "فرنسا" ما بين الرابعة والخامسة صباحاً.

- لا أهمية لذلك. ها هو الرقم.

عندما رن التليفون في "باريس" كان "مارك" غارقاً في نوم عميق على الأريكة المعدة لذلك في مكتبه. تمت ثم التفت وقد عزم على عدم الرد.

ولما لم يتوقف رنين التليفون، استيقظت "أنا"، رفعت سماعة تليفون أخرى موضوعة في الدهليز المؤدي إلى حجرتها.

- ألو! أنت مع السيد "جيلبير".

- نعم. آه.. إنه أنت يا سيد "جيلبير".

- نعم. أطلبكم من "مكسيكو". أين هو؟

- إنه نائم في هذه الساعة.

- اذهبي يا "أنا" واعلمي على إيقاظه بأي شكل. لقد عثرت على

الآنسة "ماركتيني"!

وقد أخرستها المفاجأة وكذلك المسرة، وضعت السيدة المسنة

السماعة، وأسرعت إلى السلم. رفعت سماعة تليفون المكتب وقالت

بسرعة.

- لا تترك الخط. ساوقظه حالاً.

قال "مارك" وهو يفتح إحدى عينيه:

- يبدو أنك فزعة... كم الساعة الآن؟

- بسرعة يا سيدي! خذ هذه المكالمات! إنه السيد "جالان". من

"مكسيكو".. الآنسة "ستيفاني"...

لم تتمكن من مواصلة كلامها؛ لأنه أسرع وأمسك بسماعة التليفون.

- "جيلبير"؟ ما الأمر؟ "ستيفاني"؟

- لقد عثرت على "ستيفاني"! دون عندك: إنها موظفة في استقبال

شركة طيران "إيطاليا"، ١٢ شارع "نيزا" في "مكسيكو". ستجدها

أمام مكتبها، تمنح السياح معلومات باللغة الفرنسية أو الإيطالية أو

الإنجليزية خذ أول طائرة. عليك بالمرور عن طريق "الولايات المتحدة"

على خطوط "كونكورد". إذا تمكنت فسأحجز لك جناحاً في فندق

"ماريا إيزابيل شيراتون"، ٣٢٥ "باسودي لاريفورما". هل سجلت

جيداً؟ يبدو أنك مازلت نائماً. أعد قراءة العنوان على مسامعي...

كرر "مارك" في هدوء، وأضاف ببساطة بصوت كسير من التأثر:

- شكراً "جيلبير"، شكراً.

مالت "دولوريه" على "ستيفاني" وكانت هذه الأخيرة منهمكة في ترتيب مواعيد الرحلات لكي تضعها أمامها.

— لو علمت مدى سروري! لقد عثر زوجي على شقة؛ لأن شقتنا الحالية صغيرة جداً، وكان لابد لنا من العثور على أخرى من أجل طفلنا المنتظر، وأتمنى لو أنك تكلمت بتشريفتنا فيها.

— سأشاهدها بكل سرور يا "دولوريه".

— في وسعنا التوجه إليها اليوم أثناء فترة الراحة وقت الظهيرة، اتفقنا؟

— اتفقنا، اعتقد أن "لويجي" لن يتحامل علينا إذا خرجنا قبل الموعد بخمسة دقائق.

— على شرط ألا يتواجد زبون معقد.

— لا.. اليوم هادئ.

وبينما كانت السيدتان تشرثران، كان "لويجي" يلقي إلى الفتاة نظرات إعجاب.

كان قد دعاها — قبل ذلك بيومين — إلى العشاء للمرة الثانية، وكان حديثهما مازال محفوراً في ذاكرته.

كان قد سألها حينذاك:

— ألا ترغبين في الـ "سباجيتي"؟

وكانت "ستيفاني" قد أجابته مبتسمة:

— آه، بلى.

فما كان منه إلا أن اصطحبها يومئذ إلى مطعم إيطالي. كانا قد تبادلوا الحديث عن كل شيء وعن لا شيء، وكان "لويجي" قد أشعل سيجارة وجمع كل شجاعته لكي يقول لها في هدوء:

— حتى الآن يا عزيزتي "ستيفاني"، لم توافقيني بالرد...

وكانت حينئذ قد أطالت النظر إليه دون أن تنطق بكلمة، وهي تفرع بعصبية بملعقة صغيرة، ثم أجابت:

— أنا أسفة يا "لويجي". لأن قلبي ليس خالياً.

كاد يصبح عندما أردف:

— لماذا؟

— لا أستطيع أن أحبك يا "لويجي" لأن قلبي بعيد جداً عنك.

— أخبريني أيتها الصغيرة "ستيفاني" عما حدث في حياتك.

هنا أقدم لك صداقتي في حالة رفضك لي كزوج أو محب.

صديقك يرغب في فهم حالتك. صديق في إمكانك موافاته بأسرارك. ما الذي حدث لك؟ لا يمكن أن تظلي وحيدة في الدنيا على هذا النحو.. مفتقرة إلى من يواسيك.

حينئذ، استمع "لويجي" — وقلبه منقبض — إلى القصة المأساوية التي سردتها له "ستيفاني" وما عانته في الآونة الأخيرة.

— أنا لست وحيدة. عندما أعود في المساء أسرع. وإذا كنت أرفض موعداً أحياناً فهذا؛ لأنني أكون وقتئذ على موعد معه. إن الرجل الذي أحبه ينتظرني في الصورة أمام جواده. أهده، وأوافيه بانطباعات يومي.

أضع الأسطوانات التي يحبها. وأنام وأنا أنظر إليه. أي أنني أعيش معه.

أمسك "لويجي" بيدها؛ إذ تأثر و — يمكن القول إنه فزع أيضاً:

— لكن يا صغيرتي، لا يمكنك الحياة على هذا النحو. إنك تعرضين نفسك للوصول إلى حد الجنون.

— لا يا "لويجي"، لن يحدث لي ذلك. إني الآن صافية الذهن.

ثم — مغلفة عينيها ومستعيدة للشهد — واصلت بصوت مؤلم يدعو إلى التأثر:

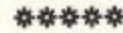
— لقد تعتمت الحياة في وجهي ذات صباح، عندما هزني فجأة الرجل الذي كان يحبني، قاذفاً إليّ باقسي العبارات. شعرت في ذلك اليوم بارتجاج في ذهني وباتني أهوي إلى أعماق اليأس. وعندما أفقت، كان قد رحل لكي لا يعود، لكنه مازال حياً فيّ إلى الأبد.

ثم فتحت بعد ذلك عينيها وانسابت دموعان من عينيها. فما كان منه إلا أن حوطها بذراعه. استسلمت كفتاة صغيرة ضالقة، قال لها:

— ما رأيك في الذهاب لتناول شراب؟

ابتسمت له للشكر والعرفان بالجميل، وقالت:

- عن طيب خاطر يا "لويجي".
كما أنهما كانا قد رقصا أيضا.



- "ستيفاني"، الساعة الثانية عشرة إلا ربعاً، ولم يعد تقريباً أحد.
هل نستعد؟

توجهتا لإصلاح نصيف الشعر والزينة وعادتا أمام المكاتب. وضعت كل منهما حقيبتها أمامها استعداداً. للانصراف وأثناء ما كانت "ستيفاني" منحنية منهمكة في وضع وثيقة أخيرة سمعت "دولوريه" تقول لها بصوت منخفض عندما رأت الباب يفتح:
- أرايت!.. إنه زيون.

وبينما هي تنتصب، رأت "مارك" يعيد غلق الباب ثم استند إليه. ارتجفت بكل كيانها، وشفتاها انفتحتا مقشعرة. شعرت باللم في القلب. يداها تقلصتا على حقيبتها. وأخيراً ابتعد عن الباب. تقدم نحوها وفي عينيه برق أخضر. وكان حينئذ الصمت يسود الوكالة. إذ إن جميع الموظفين ذهلوا لهذا المشهد العجيب والتزموا الصمت. مشهد شاب رائع الجمال يمد يده إلى "ستيفاني". تركت مكتبها وتقدمت نحوه بخطوات. "لويجي" تقدم خطوة، لكن أمام الموقف المحتم، توقف في الحال. شاهدها وهي تضع يدها على يد الرجل الذي - دون أن يتنطق بكلمة - قادها نحو الباب وقبل أن تخرج، التفتت "ستيفاني"، ألقت نظرة دائرية على المكان وانحنى علامة لـ "إلى اللقاء".

وتشابكت - أيضاً في صمت - أصابعهما وانطلقا على غير هدى في شوارع "مكسيكو". كانا يتبادلان النظرات من حين إلى آخر وعاجزين عن تصديق أنهما معاً، وكل منهما يخشى من أن يفيق ويتحقق من أن هذه النزوة ليست إلا حلمًا. كانا يشعران وكأنهما مريضان في دور النقاهة، وقد نجيا من حادث أليم أو كأنهما غريقان قد وصلا أخيراً إلى بر الأمان الذي كان كل منهما قد يئس من العثور عليه.

وأخيراً وصلا إلى فندق "ماريا إيزابيل" وفي المصعد لمست بأصبعها وجنة الشاب الواقف أمامها؛ لكي تتحقق من أنه ليس شبحاً وأنه "مارك" بلحمه وعظامه. "مارك" الذي لها. "مارك" الذي تحبه إلى حد الهيام.

أدخلها إلى صالون صغير ملحق بالحجرة. وقد أعيها التوتر، ألقت بنفسها على مقعد ذي مساند وهي تشن والدموع تنهمر من عينيها وعلى وجهها. وحينئذ ألقت "مارك" بنفسه تحت قدميها واضعاً رأسه على ركبتيها محوطاً خصرها بذراعيه القويتين وتكلم بهذا الصوت الذي لم تسمعه طوال هذه الشهور - شهور الوحدة - إلا في الحلم.

- جميلتي "ستيفاني"، حيي... سامحيني، سامحيني. سأكرس ما بقي من عمري سعيًا وراء طلب الحصول على مغفرتك لي. لقد بحثت عنك كثيراً، اعتقدت أنني بلغت حد الجنون عندما أيقنت أنني فقدتك، يا وديعتي، آه...

ثم ضمها إليه بأكثر قوة. أما هي فقد أخذت تداعب شعره. رفع رأسه وتطلع إلى "ستيفاني". حملها بين ذراعيه. ها هي أخيراً له.

الخاتمة

"بورتريكو"... بعد ستة أشهر.

بالرغم من أن النهار قد بدأ يميل، كانت الحرارة قاسية في هذا الشهر شهر سبتمبر (أيلول) في "بورتريكو".

كان "مارك دي موجاندر" يتناقش مع المدير - الذي كان قد عينه - عندما أدخل أحد الموظفين رأسه من الباب في حياء.

- المذكرة يا سيدي، لكن الأمر ملج، متى ينبغي إرسال طلب مصنع "بوستون"؟

قال "مارك" وقد رفع حاجبيه من الدهشة:

- هل تسألني أنا؟ أنا لا أعرف شيئاً عن هذا الأمر. إنها السيدة "دي
موجاندر" هي التي تعلمك عن ذلك. إنها هي المكلفة بأمر الصادرات.
انسحب الرجل في خجل.

- لا بد أنه جديد عندنا. يبدو أنه غير ملم بعمله. وبالعكس يا
عزيزي.. إني أشعر ممل بالارتياح، وسوف أتمكن من منح إدارة هذا
العمل بكل ارتياح.

- آه. إننا نعتزم السفر خلال شهرين؛ لأن زوجتي وأنا نتمنى أن يولد
طفلاً في "باريس".
ابتسم المدير.

- تهانتي يا سيدي. كنت أجهل أنكما في انتظار هذا الحدث
السعيد.
أجاب "مارك" ضاحكاً:

- تصور أنني - أنا نفسي - كنت أجهل ذلك حتى الأيام الأخيرة.
آه.. حقاً أماننا الوقت لكن يجب أن نستعد جيداً لهذه الولادة.
دخلت "ستيفاني" في هذه اللحظة بالتحديد.

- "مارك"، جرس الانصراف سوف يرن خلال دقيقة، ولي رغبة في
الاستحمام. اليوم الجو حار جداً. أنتظرك أم تلتحق بي؟
- انصرفي يا صغيرتي. أمامي نصف ساعة مع مديرتنا.
- إلى لقاء قريب. إلى اللقاء يا سيدي.

والتقت إليهما ابتسامة عريضة وخرجت. وكان زوجها في كل مرة
ينظر إليها، كان يخشى من أن تهرب منه السعادة التي يحياها.
عندما لحق بها، حاملاً منشفته وزجاجة كوكا كولا والصحف
وخطاباً، كانت "ستيفاني" تخرج من الماء. ألقي بكل ما بيديه على
الرمل وتقدم نحوها.

- هل ستنزلين ثانية إلى الماء معي؟
كان البحر جميلاً، هادئاً، وكانت الشمس وإن كانت لاتزال ساخنة
إلا أنها كانت قد بدأت تغيب في الأفق. أخذاً يداعبان بعضهما في

ملاحقة الواحد للآخر، في الغطس، عن طريق الاختفاء ثم الظهور مرة
أخرى. عاد "مارك" للضحك وعيناه تلمعان من السعادة. لقد عاد
الرجل الساحر الذي كان عليه قبل الآن، بالإضافة إلى شيء آخر وهو
نظراته الملتبهة، وحماسه للحياة.
لقد كف عن الشرب. أما عن "ستيفاني" فقد عاودها جمالها
للمشرق.

وعندما تمدد الواحد بجوار الآخر على الشاطئ، قال لها:
- بالمناسبة، لقد غفلت عن تسليمك خطاباً. إنه عندي منذ هذا
الصباح. إنه من "ليديا".

فتحت "ستيفاني" الظرف وأعلنته بعض الأخبار، من بينها زواج
"كورين".

- "كورين" تزوجت؟ مستحيل! بمن؟

- الأستاذ "جيرار ديرييه".

أردف "مارك" معلقاً:

- أراها مناسبة جداً لزوجته محام.

كم أن الماضي يبدو بعيداً! الحزن، العذاب، اليأس، الوحدة، لقد محا
سحر الحب كل ذلك.

ثم فتح "مارك" صحيفة "النيويورك هيرالد تريبيون". وفجأة قدم
صفحة إلى "ستيفاني".

- خذي. اقربي هذا...

قرأت: (ضبط عند الخروج من منزل مشبوه) لقد تم القبض على
شخص من أصل "إيطالي" متهم بتزيف اللوحات، هو وشركاؤه. ولما
حاول الهرب من الحدود، أطلقت عليه عدة طلقات من مسدس. إنه
يدعى "فيتوريو رينالدي" معروف كسمسار في الأعمال الفنية ومازالت
الشرطة تجري التحقيق.

- مسكينة يا "أورورا"...

- أترئين لحالها، بعد كل ما أساءت إليك به؟ هي من عملت على

التفريق بيننا بكل قوتها .

هكذا صاح "مارك" .

- إنها حقيقة، لكنها كانت مدفوعة بحب كبير .

- هل تحب أخاها إلى هذا الحد؟

- إنه ليس أخاها . إنه ابنها . لقد علمت ذلك في "فينيسيا" عند محامي أسرتنا .

ثم أضافت ختاماً للكلام :

- عندما يحب المرء، مهما كان الأسلوب الذي يظهر به هذا الحب،

فإنني أفهمه وألتمس له العذر وأعفو عنه أيضاً وأعفو له كل إساءة .

أمسك "مارك" بيدها وشد عليها بوداعة . ها هو الغروب قد ساد المنطقة بسرعة كما هو مألوف في البلاد الاستوائية .

لا يظهر في الأفق سوى خيط أحمر، يتبعه ظلام دامس عجيب .

في هذه الأثناء كان "مارك" يتأمل زوجته الممددة على الشاطئ وعيناها مغلقتان . كان ينظر بحنان إلى هذا الجسد الجميل الذي لفحته الشمس وهذا البطن الذي بدأ يكبر منياً بقدم طفل سيكون مصدراً لاكتمال السعادة . أما هي فكانت ترى الحب في عيني زوجها في كل لحظة .

أخيراً نهضت، جمعت كل ما هو على الشاطئ . . مدت له يدها .

وانطلقا مثل طفلين، توجها - وهما يضحكان - نحو المنزل الأبيض و . . منزلهما .

تمت بعون الله